مجلة
روايات أحلام

www.rewity.com
عيون الم
www.alkottob.com

مجلة روايات أحلام

همس الظلال

عندما قابلت جوليا رئيسها الجديد بيرس هارتويل ، كانت في الرابعة والعشرين ، متلهفة للحياة وفي قلبها أحلام حب مائت صغيرة . . .

لكن اللقاء الأول شكّل صدمةً لها فقد كان لدى بيرس انطباع سيء عنها . وعرفت بالضبط ما يظنه بها : امرأة ماكرة صائدة ثروات تسعى وراء أبيه المغفل . . . وهي أيضاً متزوجة؟ هذا كثير . . .

لم يكن رئيس جوليا الجديد مستعداً لتغيير رأيه بها ، ولم تستطع أن تلومه . . .

لبنان ٢٠٠٠ ل . ل .	الإمارات ٦ د .	مصر ٤ ج .	ليبيا
سوريا ٥٠ ل . س .	قطر ٦٠٠ ر .	المغرب ١٥ د .	اليمن
الأردن ١ د .	البحرين ٦٠٠ ف .	تونس ١٫٥ د .	السودان
الكويت ٥٠٠ ف .	السعودية ٧ ر .	عمان ٦٠٠ ب .	العراق

www.alkottob.com

مجلة روايات احلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

١ ـ السيد الشّاب

عندما كانت جوليا تناور بحذر لتدخل سيارتها القديمة إلى الموقف الذي لم يتبق منه سوى مساحات قليلة لم تكن تعي جمال ذلك الصباح الأزرق النضر. دق جرس ساعة الكنيسة معلناً أن الوقت قد أصبح التاسعة والربع فتأوهت ثم أقفلت سيارتها، وانطلقت بسرعة نحو الساحة المزدحمة، ومن هناك اتخذت السبيل إلى شارع «وستمنايت». كانت تعدو تقريباً عندما وصلت أمام بناء المحكمة، وظلت تعدو حتى وهي ترتقي سلالم أحد المنازل الجورجية الطراز حيث كانت تلمع أشعة شمس الصباح على لوحة مذهبة تحمل اسم «هارتويل وويكهام، استشارات هندسية» مثبتة على نافذة مروحية تعلو الباب. عجّت الردهة الأنيقة، التي كانت رديفاً من الزمن مركزاً لحفلات صاخبة واستقبالات مسائية، بنشاط تشهده عادة أيام الاثنين الصاخبة. كانت تسمع وهي تكمل ارتقاء السلالم، رنين أجراس الهاتف، وتكتكات التلكس وكادت تصطدم بأوليفيا جيبي، سكرتيرة السيد ويكهام، التي مدت لها يداً تساعدها على الثبات:

ـ تأخرت جوليا. مشكلة مع السيارة مجدداً؟

ردت جوليا بأنفاس مقطوعة:

ـ أهذا سؤال؟!! هل وصل السيد هارتويل؟

ـ جاء قبل الثامنة والنصف هذا الصباح، على ما يبدو.

ـ يا إلهي! شكراً أوليفيا. أراك فيما بعد.

وأسرعت جوليا تجتاز السلالم بمقدار ما ساعدها عقب حذائها العالي. بعد ذلك دخلت إلى غرفة ملابس الموظفين الصغيرة متجاهلة المكان الذي تعلق فيه معطفها، فرمت سترتها على مشجب، وراحت تتأمل وجنتيها

www.alkottob.com

المتورمتين في المرآة بنظرة استنكار، ثم ملست شعرها البني اللامع، وألقت نظرة على وجهها الخفيف السمرة ذي الذقن المدبب والوجنتين العاليتين اللتين ترزحان تحت عينين نجلاوين سوداوين تلمعان الآن بفعل التمرين الإجباري.

تأملت أنفها القصير المستقيم تجنباً لوجود أي لمعان عليه، وأضافت لمسة من أحمر الشفاه على الثغر المكتنز، ثم وقفت جامدة تعد للعشرة. . وما إن استعادت هدوءها حتى خرجت إلى الممر لتقف أمام باب كتب على لوحته «الشريك الأكبر». . وعندما دخلت رأت لوفيل هارتويل واقفاً أمام النافذة الطويلة، ينظر إلى الشارع المزدحم في الأسفل، والعبوس على وجهه. . كان رجلاً ضخماً طوله يتجاوز المئة والثمانين سنتمتراً، قوي البنية ذا شعر أبيض كثيف، يدل على سنواته التي طرقت أبواب الستين.

قال وعيناه الزرقاوان تومضان:

ـ صباح الخير جوليا. . تعالي واجلسي. . لا، لا تحضري دفتر الملاحظات. أريد التحدث إليك.

ـ صباح الخير سيد هارتويل، آسفة على تأخري.

قاطعها: «لا داعي للاعتذار يا فتاتي. تمتعت بمراقبتك تركضين في الشارع. . أعتقد أن تلك اللعبة التي تملكين رفضت السير هذا الصباح. . . أتعرفين يا جوليا، لو كانت هذه التعسة كلباً، لأعدمته منذ زمن بعيد».

ضحكت بحزن:

ـ أعرف. . أعرف! ولولا ماكس، جار صاحبة المنزل، لما جئت اليوم. فقد قام بشيء غامض تحت غطاء المحرك، وطلب مني أن أقود السيارة بلا توقف حتى أصل وكان من حسن حظي أن أنوار المرور على الطريق كانت خضراء. أعطيته المفاتيح الإضافية ووعد أن يأتي لنقلها إلى الكاراج الذي يعمل فيه وقال إنه سيرى إن كان بالإمكان إعطائي شيئاً لقاء ثمنها، مع أنني لا أظنها تعطي أكثر من ثمن خردتها. ولكنني سأحتفظ بالثمن لأسدّد أجرة الباص. . فلن أبدأ عملي يومياً وأنا أشعر بالغضب والإحباط.

نظر إليها مخدومها نظرة تفهم.

ـ أنت لا تريدين الافتراق عنها، أليس كذلك؟

ـ أنت على حق سيد هارتويل، وأكرر اعتذاري على تأخري الدائم مؤخراً. . لن يحدث هذا بعد الآن.

جلس لوفيل هارتويل بتثاقل خلف طاولته، ونظر إليها بضع لحظات، ثم تنهد.

ـ لا فائدة من التجاهل أكثر من هذا جوليا. . هناك ما أريد أن أزيحه عن صدري، وعليّ أن أزيله حالاً.

ارتفع رأس جوليا بحدة وقدحت عيناها قلقاً، فتابع:

ـ ليس للأمر علاقة بك عزيزتي. . لن يطلب رجل سكرتيرة أفضل منك. لا. . المشكلة مشكلتي، وباختصار، أنا مجبر على الراحة والتزام الهواء الطلق. إنها أوامر الطبيب. . فأنا أعاني منذ فترة من ضغط الدم ولذلك بت مضطراً للتخلي عن الإمساك بزمام العمل واستبداله بالعناية بالحديقة وبالتنزه مع الغريد والكلب.

جلست جوليا مصعوقة ثم قالت بهدوء:

ـ سيد هارتويل. . أنا مرتبكة. . سامحني على الهذر الذي كنت أتفوه به فبينما أنا أتحدث عن سيارتي السخيفة كنت أنت تنتظر لتطلعني على خبر مرضك. لم أكن أعرف أنك تعاني من علة، فطالما كنت أنشط من أي إنسان عرفته. هل لي أن أعرف من سيتولى شؤون العمل مكانك؟

ـ أنت تعرفين أن ابني بيرس يدير المكتب في لندن، ويتولى الأعمال الخارجية. في الوقت الحالي سيقوم وقته بين لندن وبين ميدلاند حتى تسوّى الأمور. في هذه الأيام لا يشكل السفر من مكان إلى آخر أية مشكلة فهو قادر على الوصول إلى هنا في غضون ساعتين تنهب خلالهما سيارته السريعة الخارقة الطريق. إنها سيارة جميلة ولكنها سريعة، كما أنه سيبقى في البدء هنا، مدة أسبوعين متواصلين.

أحست جوليا فجأة بالبرد وبعدم الأمان. . وقالت بهدوء:

ـ لكن هذا القرار أتى مفاجئاً جداً سيد هارتويل، حتى يكاد المرء لا يقوى على استيعابه. أتعني أنك لن تأتي إلى المكتب أبداً بعد اليوم؟ ألن

www.alkottob.com

تشارك ابنك العمل فترة زمنية معينة حتى يعتاد على العمل هنا؟

ضحك لوڤيل هارتويل:

- يا إلهي.. لا. بيرس آخر من قد يحتاج إلى من يمسك بيده.. وأنا أتوقع منه الكثير. فهو رجل رائع صاحب عزيمة قوية ورأي سديد ولكنه لن يدير العمل بالطريقة الروتينية المعتادة ولا ألومه. وإن اضطر لمعرفة بعض الأمور فيستطيع محادثتي فيها عند المساء، فهو سيقطن معنا في المنزل بضعة أيام. تقول أتغريد إن تصليح ديكور منزله الصيفي لم ينته حتى الآن.

صمتت جوليا، والغصة تسيطر عليها، فقد بدأ الرجل ينظر إليها بحب ثم قال كأنه يعتذر:

- قالت أتغريد إنه كان عليَّ إخبارك منذ البداية.. ولكنني لم أرغب في أن تقلقي عليَّ من أزمة قلبية كلما رأيتني أسعل.. لا يا فتاتي، هكذا أفضل. ثم إنني لن أهجر المكان بالضبط، فسأزوره بين الآونة والأخرى.

استقامت جوليا وفردت كتفيها وهي عادة مميزة يعرفها لوڤيل هارتويل جيداً ويراقبها دائماً بمحبة لكنها سألت بحدة:

- حسناً يا سيد.. هل يرغب ابنك في إبقائي سكرتيرته؟

هبَّ رب عملها على قدميه يلوح بإصبعه ليلومها:

- ألديك أي شك في هذا؟ لا أرجو هذا أبداً يا فتاتي. لن يجد سكرتيرة ماهرة مثلك بسرعة. أضيفي إلى هذا، أنه بحاجة إلى من يعرف طريقة سير العمل جيداً وقد دربتك أحسن تدريب.

- ولكن رغم هذا قد يرغب ابنك في أن يختار سكرتيرته بنفسه. قد لا أعجبه.. وقد لا أنسجم مع متطلباته الخاصة.

نظر إليها بذهول.. ثم قال بصبر:

- جوليا.. بيرس رجل ذكي. إنه مهندس ماهر، وحكمه جيد على الشخصيات. أعرف أنه سيجدك مناسبة وإن حدث العكس فلن يكون سوى أحمق. وهو ليس بأحمق. إنه أشياء أخرى كثيرة، ولكنه ليس أحمق أبداً.

بعثت كلمات لوڤيل الأخيرة الطمأنينة إلى قلبها، ولكنها بعثت في الوقت ذاته إحساساً بالارتباك.

- حسن جداً سيد هارتويل.. سأفعل ما بوسعي. لكنني سأفتقدك كثيراً. كانت السنوات الثلاث الماضية تجربة رائعة لا تقدر بثمن.. وأنا آسفة جداً لأن الأمور لن تستمر على ما كانت عليه.

رد بصوت متجهم:

- لست آسفة أكثر مني يا فتاة.. لقد كنا فريقاً ناجحاً. عندما أتيت إلى المؤسسة كنت فتاة هادئة ومتحفظة بدون خبرة ولكنني عرفت منذ البداية أنك مناسبة للوظيفة. وهذا ما قلته لأتغريد. على أي حال يا فتاتي، هذا لن يكفي.

أخرج من جيبه ساعة ذهبية:

- الوقت يمر، وعليَّ أن أقابل الطبيب في العاشرة والنصف. لذلك يجب أن أذهب.. سيصل بيرس في الثانية.. ابدئي الآن بفض البريد فإن انتهيتِ لن يبقى أمامك سوى مراجعة تقرير «ماكريڤور».

دار حول الطاولة وأمسك يدها يضغطها بقوة، ثم خرج.

عادت جوليا إلى مكتبها الصغير وكأنها منومة. جلست إلى طاولتها تنظر بشرود.. ثم تنهدت تنهيدة عميقة. إن هذا اليوم انقلب وأصبح أهم يوم إنسين مع أنه ما كاد يبدأ. راحت تفض الرسائل وتفرزها بشكل آلي، فقد كان التفكير في ابن لوڤيل هارتويل رئيسها الجديد يطغى على تفكيرها. كانت تعلم أنه يزور عائلته أحياناً، ولكنه نادراً ما زار المكتب في وستغايت.. وعندما زاره آخر مرة كانت جوليا في إجازتها السنوية.. لا شك في أن بيرس هارتويل، شخص مميز ليتمكن من ملء مركز لوڤيل هارتويل.

تابعت عملها المعتاد برتابة، وأنهت كل ما تستطيع عمله بمفردها، ثم دخلت إلى مكتب السيد هارتويل فتأكدت أن الغرفة المتناسقة الجمال مرتبة. ثم نظفت الطاولة ورتبتها وبعد ذلك تركت سلة مليئة بالرسائل ليوقعها بيرس هارتويل. عندما عادت إلى طاولتها، كان بانتظارها ذلك التقرير الذي ذكره سابقاً فشرعت بطباعته مسرورة به لأنه سيشغل أفكارها عن التفكير في المستجدات الطارئة.

كانت أكثر من سعيدة للترحيب بأوليڤيا التي ظهرت في تمام الحادية عشرة وهي تحمل كوبين من القهوة وعلى ملامحها نظرة فضول.

www.alkottob.com

- ألديك فكرة عن السيد هارتويل المسكين، جوليا؟ لقد أخبرني السيد ويكهام منذ برهة. وقال أيضاً إن الوريث الوحيد سيتولى شؤون هذا المكتب منذ الآن. متى سيبدأ؟

ردت جوليا بقنوط:

- بعد ثلاث ساعات. أتعرفينه أوليفيا؟ لم أره قط حتى عندما كان يقوم ببعض الزيارات النادرة إلى هذا الفرع.

- حسناً حبي.. أولاً ستكونين محط حسد الجيران.. على الأقل الإناث منهم.

ردت جوليا باستسلام:

- ما أروع قولك! أهو من هذا الصنف؟

- طبعاً.. لن تعرفي ذلك إن لم تقابليه. حين كان أصغر سناً، كان حبيب كل الشابات في البلدة ثم خطب امرأة ما، فتساقطن عن اللائحة.

- حقاً؟.. وماذا يفعل بزوجته أثناء سفره، أيجرها معه؟

- أوه.. لم يتزوج وكان هذا مثار اهتمام الناس فترة طويلة، فقد اشترى منزلاً ريفياً جميلاً، إنه أحد تلك المنازل المنتشرة في ضاحية «كاسل رتشي» ولهذا المنزل حديقة رائعة تصل إلى النهر وتطل على «الكاسل».. فرشها كما أرادت هي، وكان كل شيء جاهزاً للرفاف. ثم تخلت عنه لتذهب مع عجوز ثري يملك مالاً وفيراً. يقال إن بيرس أصبح يعامل النساء بازدراء منذ ذلك الوقت وليس ازدراؤه ذاك بمستغرب.

- يبدو لي أنه مشروع رب عمل مذهل أوليفيا.. تركيبة مؤلفة من ولد يعتبر صفقة رابحة ومن شخص يمقت النساء. وهذا ما يبعث عسر الهضم لمعدتي.

- ولكنه ليس ولداً يا جوليا.. إنه في أوائل الثلاثينات من عمره. أتعلمين.. تبدين فعلاً متعبة هذا الصباح.

- توتر عصبي.. هيا الآن أوليفيا إليك عني. لدي ما يكفيني من الأعمال.

ردت أوليفيا بشفقة:

- حسن جداً حبي.. تعالي لتناول الغداء في مطعم «ماريو».

- لا.. شكراً.. لكن هل تحملين إلي سندويشاً؟ سأعمل وقت الغداء فأنا أريد أن أكون على أتم الاستعداد عندما يأتي الرئيس الجديد.

ثم تنهدت بقوة:

- يا إلهي! يجب أن أنام الليلة باكراً.. إن قضاء العطلة الأسبوعية عند شقيقتي يتعبني.. حياتها الاجتماعية ترهقني.

ضحكت أوليفيا: «ولكنك تحبين زيارتها في كل عطلة أسبوعية وتكرهين العكس!»

- أنت محقة ولكنني لا أستطيع إلا أن أمني النفس بقضاء عطلة ما بمفردي.. إن أختي بالنسبة لي نعمة من الله! ولكنني لا أستطيع أن أنكر مدى الإرهاق الذي أشعر به وأنا أرعى ابنتها وابنيها المفعمين بالنشاط. إنهم جميعاً يرهقونني حتى الصغيرة في مهدها ولكن لذاك التعب لذة خاصة. هيا أوليفيا.. اذهبي! أريد فعلاً إتمام عملي.

ارتدت صديقتها ضاحكة، ثم أطلت برأسها من الباب.

- نسيت أن أقول إن بيرس طبق شهي، إنما بطريقة صارمة سوداء.

- وهل من المفترض أن يواسيني قولك هذا؟

هربت أوليفيا ضاحكة.

بعدما أكلت جوليا سندويشها، ألقت نظرة أخرى سريعة على المكتب. فسوّت وضعية الكرسي ثم رتبت سلال الرسائل، ولكن ذلك لم يمنعها من التوتر الشديد. أخيراً ذهبت إلى غرفة الملابس فأطلقت العنان لشعرها الطويل حتى تسرحه، وهذا ما جعلها تهدأ قليلاً، ثم ردت شعرها البرّاق إلى عقاله من جديد. بعد أن ألقت نظرة ممعنة طويلة في المرآة وجدت أن تنورتها المصنوعة من التويد البني، وبلوزتها العاجية اللون الموشاة باللون البني ذاته تبدوان أنيقتين مؤثرتين.. ولكنها كانت تشك في حذائها البني الطويل الذي يكاد يبلغ حدي ركبتيها فقد وجدت أنه يمكن أن يبدو عابثاً.. ولكن ماذا تفعل؟ فليس أمامها من خيار آخر إلا إذا أرادت مقابلة رئيسها الجديد حافية القدمين. ضحكت للفكرة، ثم قررت أن لا فائدة من إطالة التفكير فاستقامت

www.alkottob.com

جيداً ثم خرجت لتقابل العدو . . أحست بشيء من الراحة وبعض خيبة الأمل حين رد عليها لوقيل هارتويل الذي طلب منها الدخول .

ابتسم لها بخجل من خلف المكتب .

ـ مرحباً جوليا ، نسيت بضع أشياء شخصية . وفكرت أن أترك الأدراج فارغة من أغراضي لتكون جاهزة لأغراض بيرس . سيصل بعد دقائق ، تركته يتحدث إلى جايمس ويكهام .

ـ ظننتك هو . . لقد حضرت كل شيء له .

ـ لاحظت هذا يا ابنتي .

دار حول طاولة المكتب وراء الطاولة وأعطاها هدية صغيرة ، ثم لف يده على كتفيها :

ـ في الواقع عدت لأقدم لك هدية جوليا . . إنه تقدير صغير للساعات الإضافية التي عملت فيها معي . لقد أوصت عليها أنغريد في ذلك المحل في شارع (هاي ستريت) ، وأحضرتها بنفسي وقت الغداء .

فتحت جوليا الهدية ، ثم نظرت بغباء إلى محتويات علبة المجوهرات في يدها . . . كان حول الوسادة المخملية سلسلة ذهبية ماتقة ، يتدلى منها قطعة ذهبية صغيرة تحمل حرف الجيم المرصع بالياقوت الأحمر .

ـ السيدة هارتويل تذكر حتى نوع الحجر الكريم المرتبط بموعد ميلادي .

كان صوت جوليا مرتجفاً . . فجأة خانتها سيطرتها على نفسها ، فاستدارت تضع وجهها على كتفه غير قادرة على منع بضع دموع ليس من عادتها ذرفها . فقال السيد هارتويل بدهشة :

ـ حسناً يا فتاتي . . هدئي روعك . أين ذهبت تلك السيطرة التي اشتهرت بها ؟ خذي ، جففي دموعك بهذا المنديل .

أطاعته مبتسمة تحاول شكره ولكنها فجأة سمعت صوتاً عميقاً بارداً جعلها تبتعد بسرعة عن كتف رب عملها وتنظر إلى الباب .

ـ أعذرني لتطفلي أبي . . لكن ، إن لم تكن مشغولاً كثيراً ، فربما استطعت أن تقوم بالتعريف الضروري .

أحست جوليا وهي تنظر إلى الرجل الواقف بالباب . . بأن قطعاً ثلجية تتساقط على ظهرها ، كان بيرس هارتويل طويلاً كأبيه ولكنه أشدّ نحولاً وحوله جو من الأناقة المصقولة المحكمة .

لاحظت بسرعة بذلته الرمادية المفصلة باتقان ، وشعره الأسود المقصوص فوق ياقته مباشرة ، ووجهه الملوّح بسمرة أشعة الشمس وأنفه المتعجرف المعقوف كمنقار نسر ، ورأت في عينيه الكئيبتي الأهداب تعبيراً عدائياً واشمئزازاً .

وعت أن لوقيل هارتويل كان يتحدث إلى ابنه بصوت ملؤه المرح المكبوت :

ـ هذا يكفي بيرس . أنت تعرف جيداً أنها جوليا ، جوليا دراغونر ، أفضل سكرتيرة عرفتها . إنها الآن لك ، فأرجو أن تعتني بها .

ثم ارتدّ إليها يغمز بعينه :

ـ واثق أنا من أنك وبيرس ستتفقان عزيزتي . . تأكدي من شرح كل شيء له ، مع أنه قد يميل إلى الظن بأنه يحسن الأمور أكثر مما تحسنينها . أراك الليلة بيرس ، وداعاً عزيزتي

ربت على كتف ابنه ، ثم خرج يصفق الباب خلفه بحدة تاركاً وراءه جواً خالياً من الودّ .

سار بيرس هارتويل في الغرفة ببطء ممعناً النظر في جوليا التي وقفت وكأنها مسمرة بفعل كابوس . كانت قدماها مسمرتين في السجادة ، وكل ما فيها يصيح بها أن اهربي ، وكانت أصابعها مشدودة حول علبة المجوهرات الصغيرة التي أصبحت فجأة جزءاً لا يتجزأ مما شاهده . . انخفضت عيناه إليها وهو يمد يداً بفضول بارد ، وسرعان ما عادت الحياة إلى جوليا فنقلت الهدية غير المتوقعة ، وغير المرحب بها إلى اليد اليسرى للتمكن من مصافحة يده الممدودة بيمناها . بعد مصافحة بدائية سريعة ، ترك يدها وقال بصوت أجش عميق وبلهجة باردة :

ـ تعلمين طبعاً أنني بيرس هارتويل . . كيف حالك آنسة دراغونر . . أرجو أن تجلسي قليلاً لنضع أنفسنا في الصورة .

www.alkottob.com

تحركت جوليا إلى الكرسي أمام الطاولة فيما دار هو حولها وجلس في مقعد أبيه. . فكرت جوليا بامتعاض: المغتصب! ولكنها جلست تحافظ على هدوئها أما عيناه الباردتان فراحتا تحدقان إليها قبل أن يبدأ حديثه:

- إذن أنت مثال أبي الأعلى آنسة دراغونر، إنه فعلاً ثعلب ماكر. . حين كان يتحدث عنك كان يتمكن بطريقة تجريدية ماكرة من ترك انطباع في النفس عن كفاءة فريدة وعن امرأة متقدمة في العمر تضع نظارة سميكة وترتدي بزة لا شكل لها.

انتفضت جوليا لأن كلمة «مثال» تصدر من ذلك الفم المتعجرف بطريقة ملؤها الازدراء، وأحست بوجنتيها تتضرجان. ثم أردف وعيناه لا تفارقان وجهها.

- تبدين في الحادية والعشرين من عمرك، ولا أرى نظارات. كما أنه لا يمكن لألد أعدائك أن يصف ما ترتدينه بأنه بلا شكل. وهذا ما أراه بنفسي، طبعاً. أما الكفاءة، آنسة دراغونر فستثبتين مقدارها أثناء العمل.

حاولت بتوتر أن تسيطر على الغضب الذي راح يهدد بجرفها، ونظرت ببرود إليه.

- سيد هارتويل. . أنا أعرف أن والدك سلمك إياي رغماً عنك. فإن لم يعجبك الترتيب وإن شئت استخدام سكرتيرة تختارها أنت. . .

قاطعها بحدة: «ألا ترغبين في العمل تحت إشرافي؟».

- لم أقل هذا. كنت أحاول أن أوضح أن بإمكانك استبدالي إن شئت وكنت سأقول إنني سأبقى حتى تجد من تناسبك.

أسند نفسه إلى الكرسي وقال بتشدق:

- عزيزتي الآنسة دراغونر. . لن أسمح بأن ينزعج أبي من ترتيب كهذا. فإن عدت الليلة إلى البيت أحمل له خبر تخلصي من مثاله الأعلى، فسأواجه أزمة، نرجو جميعاً ألا تحصل، هذا دون ذكر والدتي التي قد تقطع رأسي إن أصيب أبي بنوبة ما.

راحت كلمة «المثال» تفرض ألماً بين كتفي جوليا. . لكنها سألت بهدوء:

www.alkottob.com

- إذن . . تريد مني الاستمرار في عملي كالمعتاد؟

- فعلاً . . وأرجو أن تكوني طيبة لتريني مدى كفاءتك ومواهبك . . وما إلى ذلك . . . كان والدي غامضاً معي من هذه الناحية، مع أنني عرفت أنها وظيفتك الأولى.

- أجل. التحقت بهذا العمل حالما تخرجت من الكلية، فقد نلت درجة امتياز باللغة الإنكليزية ولكنني قررت أن أضيف إليها درجة في التجارة كما أنني لم أكن أميل إلى الكتابة أو الصحافة . . واخترت البرتغالية لغة ثانية وأنا أطبع ستين كلمة في الدقيقة وأعرف الاختزال، علماً أنني أفضل الإملاء البطيء. أما خطابات التعريف فأتت من جامعتي ومن أساتذتي ومن طبيب القرية التي كنت أعيش فيها.

نظر إليها بسخرية وتمتم:

- مؤثر جداً، جداً. لا يستطيع المرء أن يطلب أكثر. أكان والدي يملي عليك بطريقة مباشرة أم كان يستخدم الشرائط المسجلة؟

- بطريقة مباشرة وكان يحب أن يتمشى في الغرفة، ولكن إن فضلت استخدام الآلة. فأنا معتادة عليها.

- عزيزتي الآنسة دراغونر . . لم أشك في هذا لحظة!

كانت السخرية واضحة ولكن جوليا سيطرت على نفسها، وضبطت أعصابها كالمعتاد وشعرت أنها منيعة ضد السخرية التي قد يطلقها.

- والآن إلى العمل. ربما توضحين لي سبب وجود هذه الكمية الهائلة من الأوراق على مكتبي وتخبرينني كيف السبيل إلى التعامل معها.

- الرسائل كثيرة دائماً يوم الاثنين بالطبع. وهذه الرسائل مؤلفة من بريد شخصي، وسري، والسري عادة أتركه لتفضه بنفسك. أما الباقي فرسائل أقوم أنا بفضها وبالرد عليها ثم آتي بها لتوقع عليها، أما الرسائل الأخرى فرسائل روتينية أرسلها إلى قسم الطباعة، وتعاد إليّ للتوقيع، كما أنني أطبع تقاريرك ولكن إن كثر العمل أمرر بعضاً من الرسائل التي لا تشكل سرّيتها خطراً على قسم الطباعة وذلك بعد أن أراجعها شخصياً. وهذا يتم عادة بموافقتك أو علمك طبعاً.

www.alkottob.com

ـ طبعاً.. مع أنك أظهرت الأمر وكأنني شخص لا ضرورة لوجوده.

ابتسمت بأدب، وانتظرت وهو يراجع حصتها من البريد.

ـ هذا إنصاف كافٍ آنسة دراغونر.. خذي حصتك من الغنيمة وتعاطي بها بطريقتك المعهودة.. واتركي لي ما تبقى.. متى أتوقع الشاي؟

ـ في الثانية والنصف.

ـ جيد.. حين تحملين صينية الشاي احملي معك فنجانك ودفتر ملاحظاتك لأملي عليك الرسائل.

أطرقت جوليا برأسها ووقفت تلتقط سلة البريد.. فوقعت علبة المجوهرات إلى الأرض مصدرة صوتاً خفيفاً، فالتقطتها على أمل ألا يكون قد لاحظها ولكن هذا ما لم يحصل فقد سألها بصوت خال من التعابير:

ـ هدية تقدير من أبي.. آنسة دراغونر؟

ردت جوليا ببرود مماثل: «بل هدية وداع».

وتقدمت على غير عجلة إلى مكتبها، ولكن قبل وصولها إلى الباب، توقفت لحظة، ثم التفتت تواجه بيرس هارتويل الذي ما تزال عيناه مسمرتين عليها، وقالت ببرود:

ـ ثمة تفصيلان صغيران أريد توضيحهما سيد هارتويل.. أولاً أنا في الرابعة والعشرين، وثانياً أنا السيدة دراغونر.

انتفض الرجل وراء مكتبه وراح يحدق إلى الباب وهي تقفله بلطف فحالت دون أن يرى الجسد الصغير المستقيم الظهر لسكرتيرته التي تعرف إليها منذ قليل.. ثم هزّ كتفيه بغضب، ووجه اهتمامه إلى الرسائل.

* * *

www.alkottob.com

٢ ـ أرجوك لا تبكي

ما إن حلت الساعة السابعة والنصف من مساء ذلك اليوم حتى خلا المبنى من الموظفين. في هذا الوقت بالذات كانت جوليا تهبط الدرج المستدير ضجرة، كانت الردهة الأنيقة بمثابة قاعة استقبال ومعرض للشركة، جدرانها مكسوة بالخشب وفي هذه الردهة نماذج خشبية ملونة لمشاريع ناجحة وعلى جانبيها اصطفت كراسي مريحة تسمح للزبائن المنتظرين برؤية مجسمات ثلاثة: مجسم لمحطة خطوط جوية، وآخر لفندق ضخم أمامه مسبح جميل، وحدائق غنّاء رائعة، وثالث لمصفاة نفط بدا فيه أدق تفاصيل الأنابيب.

في هذه الأمسية مرّت جوليا بهذا كله بدون أن تراه. أقفلت الباب الكبير خلفها بالمفتاح، وتوجهت إلى موقف الباص، لتنتظر بلا مبالاة وصول الباص. وصلت إلى رأس شارع «كلارنس» وسارت فيه بسرعة مرتجفة قليلاً من برودة المساء.. ما إن دخلت المنزل الذي يحمل لوحة رقمها: ١٢ حتى برزت صاحبة المنزل من غرفة الجلوس، ووجهها اللطيف طافح بالقلق:

ـ يبدو أن يومك كان متعباً جوليا.. أكان سيئاً عزيزتي؟

ـ سيدة هيكنز، هذا وصف قليل عليه. أكاد أهوي أرضاً! سأخبرك كل شيء في الغد. أما الآن لا أفكر إلا أن أهوي فوق مقعدي.

ـ أرجو أن تتناولي شيئاً من الطعام أولاً! على أي حال، لديك زائر.. لا.. لا.. ترتعبي. إنها شقيقتك، وقد أدخلتها إلى جناحك منذ عشر دقائق. أما سيارتها فركنتها في الكاراج.

ـ آه، لقد أقلقتني للحظات! على فكرة، هل ترك ماكس الشاب رسالة بشأن سيارتي؟

ـ طبعاً! كدت أنسى. سيدفع الكراج ستين جنيهاً فقط كما قال.. فهل

www.alkottob.com

يرضيك هذا؟

- يرضيني؟ هذا أفضل خبر سمعته اليوم! قد لا أرى ماكس لذا اشكريه نيابة عني وقولي له إنني سأذكره في أدعيتي. أراك فيما بعد.

كان باب جناحها الفوقي مفتوحاً، ورائحة تفتح الشهية تنساب من المطبخ وتناهت إليها أنغام موسيقية ناعمة صدحت من المسجلة، ورأت على الطاولة المنخفضة الموجودة أمام الأريكة أدوات الطعام وخبزاً فرنسياً مقطعاً وإبريق عصير. نادت جوليا وهي تخلع معطفها:

- ليديا.. لقد وصلت إلى البيت!

خرجت شقيقتها من المطبخ مبتسمة لجوليا المتسائلة:

- فكرت أن أفاجئك حبيبتي.. لم نتمكن من الانفراد بأنفسنا طوال نهاية الأسبوع. وحين اتصلت بك ولم أجدك، وضبت سلة مأكولات.. وها أنذا..

تهاوت جوليا متعبة فوق الأريكة، تراقب شقيقتها وهي تتنقل بسرعة من المطبخ إلى غرفة الجلوس.

ليديا في الرابعة والثلاثين وهي ما تزال بهجة للنظر.. شعرها كستنائي يتدلى مسترسلاً بلا قيد على كتفيها وعيناها بنيتان كبيرتان مفعمتان بالحيوية والحب لكل شيء، لزوجها ولأولادها ولشقيقتها، وللحياة عامة. كان جسدها نحيلاً لكنه قويم وهو يبدو رائعاً مهما ارتدت وها هي ترتدي ثياباً مخملية سوداء وقميصاً من الموسلين الأصفر، وتضع فوقها مبدعة للطبخ سوداء من البلاستك مكتوب عليها بالأحمر الفاقع «التقبيل لا يدوم، أما الطبخ فيدوم!».

- ليديا.. من يرعى الأطفال؟ ولكن حتى بوجود من يرعاهم أتساءل عن سبب هذه الزيارة فلم يمرّ يوم على رؤيتك لي... أضيفي إلى كل هذا أنني لا أراك عادة في عضون الأسبوع إلا في الحالات الطارئة.

- وهذه حالة طارئة.. جئت إلى البلدة لأتبضع بعد ظهر اليوم وقابلت السيدة هارتويل.. فتناولنا الشاي معاً في ذلك المكان الخاص، وأخبرتني كل شيء عن زوجها أعني ما يتعلق بقلب لوفيل. يا للرجل المسكين إنه

مضطر للتقاعد، وسيحل ابنه بيرس محله، كانت في غاية القلق لأنها خشيت أن تتكدري بسبب الوضع الجديد، وتأمل أن تعتادي على العمل عند بيرس و..

- بالله عليك ليديا، التقطي أنفاسك! لم تقولي حتى الآن من يعتني بالأولاد.

- هنري.. وضعت كارول في الفراش، وأطعمت ترايسي، أما فيليب ومايك، فلا شك أنهما الآن يحضران البرنامج العلمي في التلفزيون. وما على هنري سوى مراقبتهما حتى يأويا إلى الفراش. وربما يملأ غسالة الصحون.. من الواضح أنه ليس في سجل الخدمة هذه الليلة.

- أراهن أنه يتمنى لو كان هناك. إن الرائحة اللذيذة توحي إليّ بأنك أحضرت معك الحساء.

- حساء دجاج مع الكراث، وأحضرت هذا معي.

صبت ليديا بعض العصير في كأس وضعته في يد جوليا.

- اشربي هذا وسأحضر العشاء.. حملت معي طبق قريدس لما بعد الحساء.. فقليل من الدلال لن يضيع بك اليوم، ومقابل ذلك ستخبرينني بكل شيء.

احتست جوليا بعض العصير، أما ليديا فأحضرت قصعة من حساء الدجاج الذي تصاعد منه البخار اللذيذ.

- يا ليها من سلة طعام! هل حملت هذا الطعام كله معك، أيعلم هنري بهذا؟

- طبعاً.. يا الله جوليا.. ما هذا الذي أراه حول عنقك؟ إنه جميل!

- إنه هدية وداع من السيد هارتويل.. تقديراً لـ.. آه.. لا أدري.. ربما للعلاقة الطيبة التي كانت تجمع بيننا.. وقد تأثرت أي تأثر حتى بكيت على كتفه.

تسمّرت عينا ليديا على ملعقة الحساء التي رفعتها إلى مستوى فمها لتقف في منتصف الطريق:

- بكيت.. جوليا.. هذا أمر غير عادي!

www.alkottob.com

- وتحول الأمر إلى أكثر من غير عادي.. فقد فاجأنا بيرس هارتويل ونحن على ذاك الوضع. وكان أن ابتعدت السكرتيرة عن كتف رب عملها القديم والذنب يلوح على وجهها متمنية لو تنشق الأرض وتبتلعها.

- يا لسوء الحظ! خذي بعضاً من المرق.

- بل كان موقفاً مأساوياً، تمتع به لوقيل العجوز كثيراً.. ولم يحاول حتى التفسير. ولكنني والرئيس الجديد توصلنا أخيراً إلى ما يشبه الهدنة.. كان في غاية التهذيب بالطبع.. آنسة دراغونر هذا، آنسة دراغونر ذاك، واستمر في الإشارة إلى أنني (مثال) أبيه الأعلى.

- وهل أطلعته أخيراً؟ ألم يلاحظ خاتم زواجك؟

- كان الخاتم في اليد التي تحمل علبة المجوهرات التي حاولت إخفاءها بين طيات تنورتي أثناء مناوشتنا التعارفية.. وعلى ما يبدو يرى أنني صائدة ثروات وأنني أسعى وراء أبيه.. وحين قلت له إن عليه مناداتي «بالسيدة» دراغونر، ارتسم على وجهه تعبير غريب ولا شك عندي أنه أضاف إلى لائحتي زوج متساهل، سعيد بما تفعله زوجته.

ذهلت ليديا:

- ما أروع هذا الوصف! جوليا: الفتاة الماكرة الفاسقة! سيموت هنري من الضحك.

- ترين الأمر الآن مضحكاً ولكنه في ذاك الوقت كان مقيتاً على نفسي. لا أذكر أنني غضبت إلى ذلك الحد منذ سنوات.. مرّت بي لحظات كنت مضطرة فيها لمقاومة اندفاع غامر إلى ضربه بكرة كريستالية كانت فوق أوراقه.. لقد بدأ هذا الرجل باستخدام السوط حالما وصل. لا تنتظري زيارتي في الأسبوع القادم لليديا.. فمن المحتمل أن أعمل يوم السبت.

لملمت ليديا الصحون مفكرة:

- استريحي حبي.. سأقوم أنا برفع الأطباق. أتودين احتساء القهوة الفورية؟ لم تصفي لي حتى الآن شكله؟

- أفضل الشاي.. شكراً لك.. إنه طويل، أسمر، رائع المظهر.. عيناه شبه ناعستين وأنفه أشبه بمنقار صقر وكأنه أنف أمبراطور روماني، ذكي

واثق من نفسه، لاذع اللسان وقاسي في وقت واحد.

أنت ليديا بصينية الشاي ووضعتها أمام جوليا:

- حسناً حبي.. يبدو أنه أثر فيك عظيم الأثر. هل أعجبك؟

سكبت جوليا الشاي بحذر.

- لا أظن الإعجاب كلمة تنطبق على بيرس هارتويل.. فقد ناصبني العداء وجعلني أرتبك. أتعلمين ليديا أظن أن الأمور ستكون مختلفة منذ الآن في الشركة.. إنه أشبه بمد يندفع إلى الشاطىء ليعيد ترتيب كل شيء فيه.. يا الله، لا تهتمي بما أقول، فأنا متعبة وخيالي جامح. احتسي الشاي ثم عودي إلى عائلتك.. سأنام باكراً لأحاول تحضير نفسي للغد.

ثم انتقلا إلى موضوع الأولاد ولم تلبث ليديا أن هبّت واقفة:

- حسناً، سأذهب حبي. سأحضر السلة من المطبخ.

- هيا اذهبي قبل أن يتصل هنري مطالباً بعودتك.. تعرفين كم تتوتر أعصابه حين تقودين السيارة في الظلام. قولي له إنني تمتعت بصحبة زوجته. لقد استرحت فعلاً وخفت وطأة متاعبي، وأظنني سأنام طوال الليل.

ردت ليديا ساخطة:

- حبيبتي.. إنه لا يحتجزني في قفص! على أي حال ما كنت لأكتفي بمجرد اتصال هاتفي.. وأظنك كنت ستأوين إلى فراشك بدون أن تأكلي شيئاً.

ضحكت جوليا وأعطت أختها السلة أما ليديا فأخذت تلف الوشاح الصوفي الأحمر حول كتفيها، وقالت جوليا ممازحة:

- يا إلهي ليديا تبدين بالوشاح الأحمر وسلة الطعام وكأنك ذات الرداء الأحمر!

- إنه جميل أليس كذلك؟ تصبحين على خير، وحظاً سعيداً غداً. مع أنني يجب أن أقول إنك تبدين مشتتة الفكر، ولكنك ما زلت على قيد الحياة. سأذهب الآن.. اتصلي بي خلال الأسبوع، وبالله عليك لا تنسي تناول الطعام.

كانت جوليا تقف تحت الرشاش تفكر في ليديا وعاطفتها التي أظهرتها

www.alkottob.com

لها بعد وفاة والديهما. كانت أمها قد ماتت قبل والدها بسنة ومنذ ذلك الحين وضعت ليديا على عاتقها مسؤولية شقيقتها وهي لا تتذكر أنها حرمتها يوماً من العطف والحنان والرعاية. ولكن الغريب أن وجه ليديا لم يكن ما ارتسم في ذهنها بل وجه أسمر عدائي.

استيقظت جوليا في الصباح أبكر من المعتاد وكانت عازمة النية على تناول فطور لائق قبل الانطلاق إلى الخارج لانتظار الباص الذي لم تعتد على ركوبه.. قامت بجهد خاص لتكون أنق من العادة. نظرت إلى نفسها مبتسمة وهي في كامل ملابسها.. كانت ترتدي تنورة رمادية، ومعطفاً قصيراً، فوق قميص مخطط بالأبيض والأسود، وتنتعل حذاءً أسود جميلاً.. بعد لحظات من التردد وضعت السلسلة الجديدة في عنقها على أمل أن تكون طلسماً يجلب لها الحظ.

حين وصلت إلى ردهة الشركة، أبدت الإعجاب بنفسها كالمعتاد أمام المرآة، وتوقفت لتبادل الحديث مع إيملي أمام طاولة الاستقبال المثبت عليها جهاز التوزيع الهاتفي. وابتسمت إيملي:

ـ أنت مبكرة اليوم جوليا.. لقد وصل البريد وأصبح في مكتبك.

ـ من أخذه إيملي؟ لم تكد تبلغ الساعة الثامنة والنصف.

ضحكت إيملي:

ـ إنه السيد هارتويل، السيد بيرس هارتويل، دخل كالإعصار، يريد معرفة اسمي ومعرفة متى يبدأ الجميع بالعمل ومتى يصل البريد. بالاختصار أراد معرفة كل شيء.

ـ إذن، حان وقت صعودي.

كان صوت جوليا متعثماً أكثر مما تحس به.. ضبطت بحزم اندفاعاً للركض فوق السلالم وكان أن ارتقتها بسرعة معتدلة ثم تأخرت دقيقتين في غرفة الملابس لتتأمل مظهرها، وبعد ذلك خرجت إلى ردهة الدرج ومنه انطلقت إلى مكتبها الصغير. ألقت نظرة على ساعتها فأدركت أنها بكّرت عشر دقائق ولكنها كانت مصممة على أن تكون في مكتبها قبل أن يلحظ أحد وجودها.

www.alkottob.com

نظرت إلى طاولتها بسخط فقد رأت عليها كمية كبيرة من المغلفات على اختلاف أحجامها. فجلست وانطلقت تتعامل معها بسرعة، تضع كل منها في سلته الخاصة، بعد خمس دقائق رن جرس الهاتف الداخلي، فالتقطت السماعة بوجل وكأنها قنبلة موقوتة.

ـ السيدة دراغونر.. صباح الخير.

ـ صباح الخير.. تعالي إلى مكتبي أرجوك.

كان الصوت العميق يحمل رنة متعجرفة، ولكنه لم يكن عدائياً. أغلقت جوليا دفتر الملاحظات ووضعته مع القلم فوق البريد الخاص، ودخلت إلى مكتبه عبر الباب المشترك.

كان بيرس هارتويل، يقف في المكان الذي اعتاد والده على الوقوف فيه فأحست جوليا بامتعاض بسيط من رؤية الجسد النحيل والمتوتر الذي استدار لدى تقدمها الهادىء إلى الغرفة. ونظر إليها مقوّماً:

ـ تصلين باكراً سيدة دراغونر. قالت موظفة الاستعلامات إنَّ العاملات يبدأن العمل في التاسعة.

ـ أجل سيدي.. هذا صحيح.. ولكنني أفضل الوصول باكراً لأرتب أعمالي قبل أن يبدأ الهاتف بالرنين.

ـ هذا جدير بالثناء.. إذن أرجو ألا تخسري هذه الميزة سيدة دراغونر. أولاً، أريد منك إعلام شريكي والشركاء المساعدين والمحاسبين الثلاثة الرئيسيين وجميع ممثلي الشركة، بالقدوم إلى مكتبي في الحادية عشرة من أجل عقد اجتماع. اطلبي منهم تناول القهوة قبل أن يصلوا إلى هنا.. وعليك حضور الاجتماع لتسجيل ما يجري فيه، ليس تفصيلياً إنما على شكل تقرير، ولا أتوقع أن يدوم الاجتماع حتى موعد الغداء. وإن حدث أي تأخير تستطيعين التأخر في العودة إلى العمل بعد الظهر.

ـ أجل سيدي. أتريد مني الاتصال بهم هاتفياً أم عبر توزيع مذكرات؟

ـ هاتفياً أرجوك. وشددي على أنني سأكون ممتناً إن حضر الجميع بغض النظر عن أية التزامات سابقة.

ـ حسن جداً سيدي.. هل أفعل هذا حالاً، ثم أعود لأملي الرسائل بعد

www.alkottob.com

نصف ساعة؟

ـ لا . . شكراً لك. سأتحدث قليلاً مع جايمس ويكهام قبل الاجتماع وحينما أحتاج إليك أطلبك، فأنا واثق أن عندك ما يكفي من العمل.

ـ فعلاً سيدي.

ـ سيدة دراغونر . .

كان صوته منخفضاً فيه رنة تهديد . . فتصلب ظهر جوليا استعداداً للدفاع ونظرت إليه ببرود تسمعه بردف :

ـ بالله عليك . . توقفي عن مناداتي «سيدي».

ردت بوجه يخلو من التعبير : «طبعاً سيد هارتويل».

وعادت إلى مكتبها ولكن عندما أصبحت بمفردها متعت نفسها بابتسامة صغيرة مرحة.

في تمام الحادية عشرة، كان كل المدعوين إلى الاجتماع متحلقين حول الطاولة الأثرية الفاخرة، يصغون باهتمام إلى الصوت الحازم المتحدث بنبرة متسلطة واضحة.

كانت جوليا تجلس على كرسي صغير، إلى يسار الطاولة تصغي باهتمام إلى الكلمات المتسارعة التي توحي بطريقة حياة جديدة في شركة هارتويل وويكهام. حدد رئيس الشركة الجديد بوضوح أن مكتب المبدلاند يعاني من الركود الاقتصادي ومن وفرة العمال وقارنه مع مكتب لندن الذي يتعاطى مع الالتزامات الخارجية بتوسع والذي يحتاج إلى موظفين جدد.

ـ لا حاجة بي يا سادة، إلى المضي في الكلام بدون أن تفهموا ما أفكر فيه . . . إننا نحتاج في لندن على الأقل لثلث اليد العاملة الموجودة هنا. أما إن كان هذا الثلث يرغب في الانتقال أو يرفضه فأمر نتباحثه فيما بعد ومن الضروري طبعاً أن نقرر من يجب أن ننقل، خاصة من مكتب المحاسبة ومن قسمي الكهرباء والميكانيك . . معظم المراكز المطلوبة هي على المستوى الصغير، وأتصور أن بالإمكان عرضها على غير المتزوجين من الموظفين. أو على المتزوجين الذين ليس لديهم عائلة أو على الأقل ليس لديهم أولاد في عمر يخولهم الالتحاق بالمدرسة. وهذا ما يبسّط لنا مسألة السكن. سأعطي

www.alkottob.com

لائحة بالمراكز المطلوبة لكل منكم، وأتوقع منكم لوائح بالمرشحين على أن أستلمها إن أمكن قبل الخامسة مساء. غداً وحتى نهاية الأسبوع، سأحدد مواعيد اللقاء معهم. وبعد أسبوعين آمل أن أنتهي من تسوية أوضاع الموظفين في هذه القاعدة، وأن أكمل العدد المطلوب في لندن.

أصغت جوليا دهشة ولكن قلمها كان يسرع في تسجيل ما يقوله صاحب الصوت العميق الحازم.. وأصبح من الواضح أن بيرس هارتويل سيدير في الوقت الحاضر عمليات مكتبي لندن وميدلاند ولكن، في مطلع السنة الجديدة، سيعود إلى لندن بشكل دائم وسيتولى جايمس ويكهام إدارة مكاتب ميدلاند.

أخيراً انفض الاجتماع وذلك قبل الواحدة بالضبط. جمعت جوليا أوراقها استعداداً للخروج.. ولكن بيرس هارتويل قال بعدما أقفل الباب وراء آخر الموجودين:

ـ لحظة من فضلك.. أعتقد أن ما سمعته صدمك.

توقفت أمام الباب:

ـ لن أكون صادقة إن أنكرت.. طبعاً لم أتوقع أن تبقى المسؤول هنا دائماً، ولكنني أحيي فيك فكرة نقل اليد العاملة إلى لندن.

جرّ كرسياً لها: «عودي إلى هنا واجلسي لبعض الوقت».

جلس على حافة طاولته:

ـ كيف برأيك سيتلقى المعنيون بالانتقال الخبر؟

فكرت جوليا برهة ثم رفعت نظرها إليه تائلة:

ـ مبدئياً بارتياح، على ما أظن. فالجميع يعرف أننا لا نعمل كثيراً هنا مؤخراً، فالركود ملموس، وأنا واثقة أن بعض الموظفين الصغار كانوا يحسون بالقلق، وأظنهم عموماً سيتمسكون بالفرصة.. فلا يسهل الحصول على وظائف في مثل هذه الأيام.

تسمّر فجأة، ينظر إليها مطولاً:

ـ هل فكرت في هذا من وجهة نظر شخصية؟

حاولت جوليا ألا تبدي تأثراً:

www.alkottob.com

- أتقصد هل فكرت في مركزي؟ أدرك أنه لن يكون لي مكان بعد أن يستلم السيد ويكهام السلطة.. فلديه سكرتيرة كفؤة ممتازة.

تابع النظر إليها، وجفناه نصف مغمضين..

- في الواقع لا أدري ما أفعله بك سيدة دراغونر. نقل موظف أمر هيّن نسبياً حين يكون رجلاً.. ولكنك مشكلة مختلفة.

فتحت جوليا فمها لترد، ثم أقفلته، وأخفضت عينيها إلى يديها، ووقفت:

- لا داعي إلى القلق عليّ سيدي. فما دمت مستعداً لإعطائي كتاب توصية، فأنا واثقة أنني لن أجد مشكلة في الحصول على عمل حين يأتي الوقت.

ارتفع حاجبه وهو ينتصب واقفاً:

- ألن تفكري في البحث عن عمل منذ الآن؟

- لا سيدي.. أشعر بولاء شخصي للمؤسسة. أظنك، وبدون أن أبالغ في قيمة نفسي، بحاجة إليّ في هذا الوقت المخصص لإعادة التنظيم.. سأترك العمل حين تتمّ كافة التغييرات.. هذا بالطبع إذا كنت موافقاً.

تحرك بسرعة، يفتح لها الباب ويبتسم لأول مرة ابتسامة دافئة سمح لنفسه بأن يطلقها.

- أقدّر لك تصرفك أكثر مما أستطيع وصفه سيدة دراغونر.

كان صوته العميق أكثر جاذبية، رغم رنة البرودة فيه. سارعت جوليا لاستجماع نفسها وقالت بسرعة:

- لا داعي لذلك سيدي. هذا أقل ما أستطيع فعله بعد اللطف الذي أظهره لي والدك.

تلاشى كل الود عن الوجه النسري المظهر وقال ببرود:

- هكذا إذن.. أرجو أن تكوني طيبة كفاية لإعطائي تقرير الاجتماع مطبوعاً قبل الساعة الثالثة على أن ترفقي به نسخاً لجميع من حضر ثم أضيفي نسخة أخرى لوالدي.

- طبعاً سيدي.

www.alkottob.com

انسحبت بسرعة تقفل الباب خلفها بهدوء. لكن الباب انفتح بحدة بعد لحظات ووقف بيرس هارتويل ينظر إليها، وقال ساخطاً:

ـ طلبت منك التوقف عن مناداتي «سيدي» فأنت لست خادمة منزل لعينة!

جلست جوليا وراء مكتبها غير مضطربة:

ـ كما تشاء سيد هارتويل.

وابتسمت بأدب، ثم وضعت بعض الأوراق في الآلة الكاتبة.

ـ ألن تذهبي إلى الغداء؟

ـ كيف أذهب وقد طلبت مني طبع التقارير قبل الثالثة سيد هارتويل. فالساعة الآن الواحدة والنصف كما أنني معتادة على تناول سندويش أثناء العمل.

شرعت تطبع ما دونته على دفتر الملاحظات بسرعة وسخط مكتوم، استدار ليخرج، مقفلاً الباب وراءه بهدوء مبالغ فيه. ضحكت جوليا وهي تخرج سندويشاً من درجها. في الواقع ستنهي العمل في غضون ساعة، ولكنها تمتعت بتمثيل دور الضحية، فلربما أحس بشيء من الندم.

كان سير العمل في الأسبوعين التاليين سريعاً إلى حد التطرف. هذا عدا اضطرارها إلى انتظار الباص، وكانت نادراً ما تصل إلى منزلها قبل السابعة والنصف كل مساء وكانت تشعر بأنه لا يكاد يغمض لها جفن حتى يرن جرس المنبه منذراً ببدء يوم جديد.. وأخذت السيدة هيكنز تزداد قلقاً عليها يوماً بعد يوم، وكذلك كان حال ليديا خاصة بعدما ازداد تأخر جوليا في الوصول إلى المنزل. عندما حل مساء الجمعة في الأسبوع الثاني كانت السيدة هيكنز بانتظارها قلقة فقد تجاوزت الساعة الثامنة ولم تصل بعد وعندما وصلت أخيراً قالت لها:

ـ اسمعي عزيزتي.. لا يمكنك الاستمرار على هذه الحال فستقعين مريضة.

ـ أنا لا أتمتع بهذا الوضع سيدة هيكنز ولكنه أمر مؤقت.. وستكون الأمور أهدأ مما هي عليه في الأسبوع المقبل.

www.alkottob.com

كان وجه السيدة هيكنز اللطيف مشبعاً بالقلق:

- هذا ما أتمناه! حضرت لك وجبة طعام في الفرن في مطبخك. إنها مؤلفة من الستايك والكبد والفطر.. يجب أن تأكليها. أظنك تعيشين في هذه الأيام على القهوة والبسكويت فقط، وهذا أمر غير صحي بالنسبة لامرأة تعمل حتى ساعة متأخرة.

قبّلتها جوليا:

- سيدة هيكنز، حبيبتي.. أنت ملاك!

أشرق وجه المرأة:

- وكذلك أنت! اصعدي الآن وارفعي قدميك.. أو اتصلي بالسيدة مايسون.. اتصلت بك مرتين هذا المساء.

ارتقت جوليا الدرج ببطء، وخلعت معطفها. حينما شمّت الرائحة اللذيذة المنبعثة من المطبخ راحت معدتها الفارغة تخور، ولكنها تنامتها واتصلت بشقيقتها ليديا.

رد صوت صهرها الهادىء:

- الدكتور مايسون.

- مرحباً هنري أنا جوليا، إن كنت مشغولاً أقفل الخط.

- لا.. ليس الليلة.. على أي حال، بما أنني الطبيب في هذه العائلة فهل لي أن أسأل عن الوقت الذي تعودين به من العمل؟

تنهدت جوليا:

- لا تبدأ بهذا..! يكفيني ما ألقاه من معاتبة من مالكة المنزل وما تتنبأ به ليديا كل مساء في الهاتف بشأن مصيري. صدقاً يا حبي.. صدقني أن الجهد في الشركة مضاعف في الوقت الحالي.. إنه عذاب متواصل، ومن المحتمل أن يبقى هذا حتى تتم التغييرات اللازمة.. أظن أن ليديا أخبرتك عن الرأس الجديد في الشركة؟

- نعم أخبرتني. ولكن عليك رغم كل شيء أن تختصري ساعات العمل وإلا كانت العاقبة وخيمة عليك، ليديا تغلي سخطاً قربي، سأمرر الهاتف لها.

صاحت أختها غاضبة:

- جوليا.. أتنوين قتل نفسك؟

- لست مضطرة لهذا.. فبيرس هارتويل يقوم بجهد مشكور في هذا السياق.

- على إنسان ما أن يقوم بشيء بهذا الخصوص. ماذا دهاه؟ هل يعمل الجميع حتى هذه الساعات المجنونة؟

- لا.. أنا والسيد فقط.. أظنه اختباراً لقدرتي على التحمل. إنه يريد أن يرى إن كنت سأستسلم طالبة الرحمة.

- والآن جوليا.. هل ستظلين عنيدة؟ قولي له أن يذهب ووظيفته إلى الجحيم!

- لا تكوني غير مؤدبة ليديا.. عليك أن تكوني المثال الأعلى لأولادك! أظن أن ابنتك في مهدها الآن؟

- أجل.. إنما لا تغيري الموضوع.. يجب أن تستريحي قليلاً.. على أي حال يا حبي.. سيأتي هنري لإحضارك صباح الغد بعد انتهاء أوان العيادة.

سحبت جوليا أنفاساً عميقة لتحضر نفسها:

- الآن.. لا تثيري غضباً ليديا.. فأنا سأعمل في الصباح.

- جوليا! ليس بعد الأسبوعين اللذين تحملتهما.

- بل رغم ذلك كله. ليديا أرجوك، لا تسيئي فهمي.. أفضل أن أبقى هنا هذا الأسبوع أيضاً.

وما أدهش جوليا أن ليديا صمتت بهدوء لحظات. ثم جاء الصوت مفعماً بالحب والقلق:

- ولكنك متعبة حبيبتي؟

ابتلعت جوليا ريقها بصعوبة قبل أن تجيب:

- بعد عودتي من العمل غداً سأخلد إلى الراحة ليديا.. ثمة قصة بدأت بقراءتها منذ أسبوعين، وسأشاهد بعض البرامج التلفزيونية. على الأرجح أنني لن أرتدي ثيابي يوم الأحد، وأعدك أن أطهو لنفسي وجبة جيدة.

www.alkottob.com

ـ حسناً حبيبتي. أعرف أن عصابتي لن تهدأ بدونك، ولكننا سننتظرك في الأسبوع القادم، ففي العطلة القادمة سنقيم حفلة تضم الجيران والأطباء الذين سيكون بينهم طبيب متمرن يشرف عليه هنري. ما رأيك لو تؤنسي جلسته لئلا يشعر بالوحدة.

ضحكت جوليا:

ـ أنت لا تستسلمين أبداً. أليس كذلك؟ قبلاتي الحارة لصبيانك ولطفلتك عني. سأتصل بك مساء الأحد.

مضت نهاية الأسبوع كما خططت جوليا لها.. واشترت ما يلزمها من طعام وذلك عند عودتها من المكتب ظهر يوم السبت، ولم تتحرك من المنزل حتى حان وقت العمل صباح الاثنين.

وفيما كانت تجلس في الباص، في طريقها إلى البلدة، تساءلت ما الذي سيحمل معه هذا الأسبوع. من الصعب أن يكون متعباً أكثر مما سبقه أو على الأقل هذا ما تأمله، كان صباحاً مكفهراً رطباً، سارعت فيه راكضة من موقف الباص تستظل بمظلتها الحمراء وتستعين بالمعطف الواقي من المطر. كانت قدماها تحاولان تجنب برك الماء التي تعترض طريق حذائها الجلدي العالي. وصلت إلى المكتب قبل الوقت بنصف ساعة ورغم ذلك وجدت بيرس وراء طاولته حين أدخلت البريد.

ـ صباح الخير سيدة دراغونر.. أليديك لائحة بمقابلات اليوم؟

ـ صباح الخير سيد هارتويل.. سجلت لك كل شيء في مذكرة المواعيد.

ـ شكراً لك. أتمنى أن أنتهي من هذا الأمر في نهاية الصباح. بعد الظهر سأقابل المرشحين الذين يرغبون في الانتقال.. وستتكرمين بالحضور لتسجيل التقارير.

ـ أجل سيد هارتويل.

ـ سأترك بريد اليوم إلى ما بعد الاجتماع.

كانت عيناه الزرقاوان الثاقبتان لا تفارقانها ولكنها لم تتأثر.

ـ حسن جداً سيد هارتويل.. أهذا كل شيء الآن؟

هز رأسه بإقتضاب، فعادت إلى مكتبها لتجلس لحظات وهي قابضة بشدة على يديها تحاول استنشاق الهواء. أجل سيد هارتويل، لا سيد هارتويل، ثلاثة أكياس مملوءة سيد هارتويل.. كان بإمكانه أن يملي عليها ما يريد، فثمة ساعة كاملة قبل أن يجري المقابلة الأولى. صرّت على أسنانها، ثم اتصلت بقسم الطباعة لترسل إليهم حصتهم من مطبوعات اليوم.

تقدم اليوم على المنوال الذي أصبح روتينياً منذ وصول بيرس هارتويل. مرت سلسلة متواصلة من الشبان تمر بالمكتب الرئيسي وعلى وجوههم القلق وكانوا يخرجون بتعابير مختلفة تتراوح بين الراحة والسخط.. وكان يتلقى السيد هارتويل مكالمات بعيدة المدى معظمها من الأرجنتين ومن الكويت، وكل منها تكمل تقدم برنامج اليوم.. أخيراً بدأ الاجتماع المقرر في الساعة الثانية، في الثالثة والربع.. وانتهى في الخامسة والنصف. حيث قال بيرس وتعبير خبيث يلمع في عينيه:

ـ حسناً.. هل أنت مستعدة للبدء بتسجيل البريد حالاً سيدة دراغونر؟

جعلت جوليا صوتها بلا طعم قدر المستطاع:

ـ أجل سيد هارتويل.

كان قلمها يطير بلا توقف فوق صفحات دفترها أثناء الاجتماع الذي دام ساعتين. والآن ترى من كثرة الرسائل المكدسة أن من المحتمل أن يستمر رئيسها بالإملاء ساعة أخرى على أقل تقدير. الخنزير القذر!..

أحضرت قلماً جديداً وأوراقاً أخرى، وسرعان ما غرقت في عالم التقديرات والأرقام والاتفاقات المختلفة. وعندما حلت الساعة السابعة وكادت تشعر بأن عقلها توقف عن العمل قال:

ـ أظن أن علينا إنهاء عملنا اليوم سيدة دراغونر.

ـ أجل سيد هارتويل.. عمت مساء.

ـ لحظة من فضلك، عودي إلى الجلوس.

جلس مستريحاً في مقعده الجلدي الوثير، يقلب قلم حبر بين أصابعه، ينظر إليها نظرة زرقاء متحفظة.. وانتظرت.

ـ ألا تقلب هذه الساعات غير المنتظمة من العمل ترتيباتك المنزلية رأساً

www.alkottob.com

على عقب سيدة دراغونر؟

هيأت نفسها للخروج: «أبداً».

ـ أدرك أنني أهملتك في الأسبوعين الماضيين.. أعتقد أن والدي كان يصطحبك للعشاء حين تتأخرين في العمل ويبدو أن زوجك كان سعيداً بهذا. ربما تسمحين لي بالامتياز ذاته هذا المساء.. وهاك الهاتف إن احتجت للاتصال بالمنزل لشرح الموقف.

كانت عيناه تأسران عينيها بتحد فردت جوليا نظرته بكراهية بارزة:

ـ سيد هارتويل، أنت تعرف والدك أكثر مما أعرفه أنا.. وأنا واثقة، أنك تعرف ميزته الخاصة في المرح، أما التفاصيل الدقيقة التي كان يهتم بها بشأن دعوات العشاء فكانت تأتي في موقعها.. وحين كانت تواجهنا مثل هذه المواقف، كانت أمك تصرّ على أن أنضم إليهما في المنزل للعشاء، لأنني برأيها سأكون متعبة بحيث لن أقوى على تحضير الطعام لنفسي. ويجب أن تعرف أكثر من غيرك، أنها ألطف الناس فهي كانت تشعر بالقلق عندما أشاطرهما الطعام.

ساد صمت غريب بعد توقف جوليا من الكلام لتكبح الشعلة المتقدة من الغضب التي كانت تهدد بالانسلال من بين يديها.

ـ أما بالنسبة لزوجي سيد هارتويل فهو لسبب مأساوي ليس في مركز الموافقة أو الاعتراض، فقد مات منذ ست سنوات.

شعرت بإرهاق شديد واستولى عليها غضب بارد فلم تشعر إلا بالدموع تنحدر على وجنتيها فهبت من مكانها واثقة وارتدت عن غير وعي إلى الباب فلم تر تعبير وجه بيرس الذي وثب عن كرسيه. وفيما كانت تبحث عن مقبض الباب، أحست بيده على ذراعها. فنظرت نظرة ذات معنى إلى يده، التي سرعان ما أبعدها.

ـ سيدة دراغونر.. جوليا.. أرجوك.. لا تبكي.

كان صوته لأول مرة منذ وصوله خالياً من البرودة فأصيبت جوليا بالدهشة:

ـ أبكي؟ ظننت أنني نسيت كيف يكون البكاء.. وما بكائي إلا من جراء

www.alkottob.com

الغضب والتعب. أريد الذهاب حالاً إلى منزلي، إلا إذا رغبت في أن أطبع هذه الرسائل قبل أن أرحل.

مرر بهرس أصابعاً مرتجفة في شعره الأسود باضطراب:

- بالله عليك، لا توجهي إليّ نصل السكين! أحسّ بأنني خسيس. لماذا لم تخبريني أنك أرملة؟

- ولم كان سيهمك الأمر؟ ثم أنني أبغض الكلمة.. فهي تحمل لبعض الرجال مضامين محددة المعالم. فإن كانت أرملة شابة يضيفون إليها كلمة «مرحة» ويظنون أنها بحاجة إلى مواساة جسدية وإن عابرة. لذلك لا أذكر الأمر إلا اضطراراً.

بقي مسمراً في مكانه يسد عليها طريقها، رفعت إليه نظرها بغضب، ولكنها لم تكن مستعدة لحركته المفاجئة حين ضمها بين ذراعيه، بشدها إليه. ذهلت ذهولاً زاده التعب والإرهاق، فاستندت إليه لهنيهة فاقدة التوازن فكان أن وضع أصابعه تحت ذقنها ورفع وجهها إليه.. قاومته بذعر، ثم ركلته بحذائها على ساقه، فأرخى قبضته عنها، وسرعان ما انتزعت نفسها من بين ذراعيه ووقفت متقطعة الأنفاس تنظر إلى وجهه الذي ما زال قريباً من وجهها... ثم قالت بحدة ومرارة:

- قمت بعملي جاهدة طوال اليوم وفي كل يوم منذ وصلت إلى هنا.. وانظر ماذا قبضت أجراً عليه. لكنني لا أتحمل أبداً أن تعاملني بخشونة! أرأيت إلى أي حد كنت على حق؟ فما إن ذكرت لك كلمة «أرملة» حتى سارعت إلى تطبيق الفكرة.

- أنت تبرهنين عن وجهة نظرك بتركيز مذهل.. كان هدفي الوحيد إراحة أعصابك أما ما حدث بعد ذلك فأتى عن غير قصد، أؤكد لك أنني كنت صادق النية والآن أعتذر عن تصرفي الهمجي وعن ريبتي بك وبأبي. أعتقد أن بصيرتي كانت مشوشة منذ قابلتك.. وأعتذر أكثر عما قلته عن زوجك، وليس عندي من عذر سوى جهلي بموته. يبدو أن أبي ولسبب مجهول غريب اختار أن يبقيني على جهلي.. ويجب أن تشعري بالرضى التام لأنك كدت تقعدينني، وأشك في أن أتمكن من الذهاب إلى العشاء هذه الليلة.

www.alkottob.com

ردت بجفاء: «آسفة لأنني ركلتك سيد هارتويل».

ـ أرجوك.. ناديني بيرس.

ـ لا.. بكل تأكيد.. والآن، إذا سمحت، أريد حقاً الذهاب إلى منزلي.. لدي عمل كثير غداً.

أمسك يدها:

ـ جوليا.. أرجوك لا تتقوقعي على ذاتك لتجنبي. لن أعود إلى إزعاجك مرة أخرى. أريد أن أعرف فقط إن كنت سامحتني على تصرفاتي القذرة في الأسبوعين المنصرفين.. أعرف أنك ستجدين صعوبة في التصديق ولكنني أعتقد أن سبب تصرفاتي تلك الغيرة.

تجاهلت جوليا كلامه:

ـ أوه.. حسن جداً. سامحتك ولكن يجب عليّ فعلاً الذهاب إلى منزلي وإلا فاتني الباص.

قال بسرعة:

ـ سأقلك بنفسي، اذهبي واحضري معطفك.

نظرت إليه بريبة، تبعد خصلة انحدرت إلى جبينها.. هذا الرجل المقنع وصاحب هاتين العينين الزرقاوين لا يشبه أبداً ذلك الطاغية المستبد الذي عرفته في الأسبوعين المنصرمين. سمعته يردف بصوت منخفض:

ـ أرجوك جوليا، كوني لطيفة معي، وامنحيني فرصة للتعويض عما فعلته بك.

ابتسمت، ثم هزت كتفيها:

ـ لا بأس.. لكنني تعبة.

انتظرها حتى ارتدت معطفها، ثم انطلقا يهبطان الأدراج المهجورة، قاصدين موقف السيارات. اجتازا في طريقهما إلى سيارة بيرس مستنقعات المياه الصغيرة. أخذت جوليا تتأمل السيارة باحترام وهي تغوص في مقاعدها الوثيرة.

ـ بورش.. لا أكثر ولا أقل! إن هذا المؤثر!

www.alkottob.com

- إنها تكمل صورتي . . أين تسكنين؟

تراجع بالسيارة قليلاً، فأجابت:

- كلارنس . . قرب الحديقة العامة .

تمت الرحلة القصيرة في صمت ودود معقول . وحينما توقفت السيارة أمام المنزل الحامل رقم ١٢ قالت جوليا بإشراق:

- شكراً لك . جاءت الرحلة أسرع بكثير من رحلة الباص . . كيف أفك هذا الحزام؟

مال بيرس إليها ليفك حزام الأمان ومقبض الباب معاً . . ولكنه ظلّ مائلاً نحوها ينظر إلى لون وجهها الملتفت إليه:

- هل ستعضيني أو ترفسيني إن عانقتك عناقاً سريعاً؟

كانت تعرف أن عليها الرفض، ولكنها صمتت ورأت وجهه يقترب منها فعانقها بسرعة ولكنه تسمّر في مكانه لحظات قبل أن تلتف ذراعاه حولها . . واشتد عناقه وعصف فارتجفت جوليا بين ذراعيه . . وسمعته يهمس:

- لا تخافي جوليا . . لن أؤذيك .

واشتد احتضانه لها حتى انطلقت تقاومه غريزياً . . فتركها بسرعة يحني رأسه مجدداً لاثماً طرف أنفها، ثم خرج من السيارة ليفتح لها الباب .

- تصبحين على خير جوليا . . أراك في الصباح .

- تصبح على خير .

صعدت جوليا بسرعة إلى ممر الحديقة بدون أن تنظر إلى ما وراءها . .

دخلت المنزل، وتهاوت على أريكتها، قبل أن تسمع صوت محرك البورش القوي يهدر بصمت مبتعداً في الشارع .

جلست تحدق في الفضاء، وهي غير قادرة على استيعاب ما جرى في الساعة الأخيرة . . وفكرت فجأة: أنا لا أكرهه أبداً ولم أكرهه قط . بدأت بعزم تحضر ما تأكله، مقررة التفكير من جديد في تصرفاتها مع بيرس هارتويل . . قطعت الطماطم ببرود وهدوء فقالت هكذا يجب أن أكون باردة وهادئة . فلن تسمح له بالظن بأنها متاحة له للعبث والمداعبة متى أراد . مع

www.alkottob.com

ذلك شعرت بأن غزله لم يكن عبثياً. ابعدي عندك هذه الأفكار حالاً يا فتاة..

حملت صينية العشاء إلى غرفة الجلوس، تراقب البرنامج التلفزيوني وهي تأكل.

* * *

٣ - رغبات الرئيس أوامر

حين استيقظت جوليا باكراً في الصباح التالي غاصت معنوياتها. فالمطر كان ينهمر بغزارة على النافذة. وللمرة الأولى منذ باعت سيارتها تتمنى لو تستطيع الذهاب إلى العمل بالسيارة. كان الطقس بالطبع بارداً فارتجفت وهي تبحث في خزانتها عما يدفئها من ثياب. حين ارتدت كنزة صوفية حمراء أرجوانية وتنورة مماثلة، أحست أنها أفضل حالاً. فجلست تأكل التوست وبعد ذلك ارتدت معطفها الواقي من المطر، وحملت مظلتها، وانسلت بهدوء نزولاً على السلم لئلا تزعج السيدة هيكتر.

شهقت عندما واجهتها الريح والمطر بحدة فهرعت راكضة إلى ممر الحديقة، رافعة باقة معطفها حول وجهها، ومخفضة مظلتها فوق رأسها حتى الكتفين. كانت تسير على الرصيف قبل أن تشاهد السيارة السوداء الطويلة أمام المنعطف، وأدركت أن بيرس هارتويل يمسك لها بابها مفتوحاً كي تصعد.

جلست على المقعد المنخفض شاكرة، تشهق لالتقاط أنفاسها، ثم نظرت إلى الرجل الجالس إلى جانبها بتساؤل.. كان يرتدي بذلة بنية دكناء وقميصاً حريرياً عاجياً زاد من تأثير اسمرار وجهه، وبدا أكثر فتنة من ذي قبل.

- صباح الخير.

جاء صوته وقوراً ولكن وجهه كان مفعماً بالمرح. ردت جوليا:

- صباح الخير، أكنت ماراً من هنا؟

- لا.. سياستي دائماً هي الصدق. فكرت بما أن الصباح عاصف أن أصطحبك، فلم أكن أعلم حتى ليلة أمس أنك تستخدمين النقل العام.

www.alkottob.com

ردت مبتسمة:

- إن العديد من المخلوقات البشرية العادية تستخدمه.. ألا تعلم؟ في الواقع هذا ترتيب اضطررت إليه مؤخراً.. سيارتي العتيقة الصغيرة قضت بفعل الزمن منذ أسبوعين.. ولا أشعر برغبة في شراء أخرى.. أحس بالراحة لاستخدام الباص.. يجب أن تجربه يوماً.

أدار بيرس نظرة اعتذار إليها.

- لقد زاد من احترامي لك ليلة أمس، معرفتي أن عليك اللحاق بالباص في وقت متأخر من المساء. تناولت العشاء معي والدي ليلة أمس، وكان عليك أن تسمعي ما قالته أمي في هذا الصدد. لقد كادت تسلخ جلدي حياً لتضحيتي براحة «مثال» أمي!

غضبت جوليا:

- بدأت أتوتر.. اسمع! إن عدت إلى استخدام هذه الكلمة ولو مزاحاً فسأستقيل من عملي!

رفع يداً طويلة عن المقود بحركة اعتذار.

- آسف! لم أكن أعلم أنك تكرهين هذه الكلمة.. في هذه الحالة، قد يسعدك أن تعلمي أنني سأتركك بسلام طوال الأسبوع.. فسأسافر إلى لندن لأنهم يحتاجون إليّ هناك بضعة أسابيع وبناء عليه سأراجع بريد الصباح بسرعة وأسافر.. وإن كان بالإمكان أن أحصل على تقرير اجتماع الأمس قبل أن أذهب. فأنا أريد السفر قبل الحادية عشرة.

ردت جوليا عن غير وعي: «أجل، طبعاً..».

أدهشها أن تشعر بعدم الترحيب بغيابه كما ظنت.

- على فكرة.. كيف عرفت أنك ستجدني في مثل هذا الوقت من الصباح؟

ضحك: «لم أكن أعرف. أمضيت عشر دقائق أترقب قدومك».

عبست: «أنا قلقة.. فبعد الصقيع الذي كنا نعيشه في الأسبوعين الماضيين.. أجد هذه الرقة كلها مريبة قليلاً.. أتحاول هدهدتي لأشعر بأمان زائف؟».

انعطف بيرس إلى موقف السيارات، وأوقف البورش.. ثم التفت إليها واضعاً يده على ذراع جوليا التي كافحت لتفتح قفل الحزام:

- لا تستعجلي جوليا، لقد وصلنا باكراً. وقبل أن يبدأ العمل النشيط أريد تعنيف نفسي مرة أخرى بسبب تصرفي معك بشكل عام وبسبب العمل الزائد الذي ألقيته على عاتقك. حاولي أن تفهمي، أنني حين شاهدتك للمرة الأولى بين ذراعي أبي شعرت بأنني غير سعيد، وما زاد غيظي أنك تركتني أظن أنك متزوجة.. ذهبت إلى المنزل تلك الليلة غير سعيد، ضجراً، لا أشعر بالرضى عن الحياة كلها. أيمكن أن تتنازلي وتقبلي قضاء سهرة معي لتخبريني القليل عنك؟ حين هدأت وفكرت في الأمر ملياً صدمني أن أعرف أنك كنت مجرد طفلة حين مات زوجك منذ ست سنوات.

ظلت جوليا هادئة للحظات تحدق إلى المطر المنهمر على زجاج السيارة الأمامي. أخيراً التفتت إليه.

- ليس عندي في الواقع أقوال كثيرة.. ولكن إذا رغبت، فلن أمانع في سرد قصة حياتي عليك.

أمسك يدها:

- سأحب الإصغاء إليها. سأعود صباح السبت.. فتناولي العشاء معي في المساء.

- آسفة جداً بيرس لأنني سأكون مشغولة.

أعاد يدها إلى ركبتها، وقال باكتئاب:

- طبعاً.. هذا غباء مني.. فبعد ست سنوات لا شك في أن لشخص آخر الحق بأوقات فراغك.

ضحكت جوليا، فنظر إليها شذراً.

- أنت على حق. لكن هذا الشخص، أو الأشخاص، هم شقيقتي وزوجها الطبيب، وصبيانها الثلاثة الصغار وطفلتها الرضيعة. ليديا تترك يدي على غاربها في غضون الأسبوع أما في العطلة فتشدد على قضائها معهم. إنهم يعيشون في «ثولمارستون» في الطريق إلى «كوفنتري».

أدار وجهها إليه بأصابع طويلة ونظر إليها متفرساً:

www.alkottob.com

- أليس في حياتك رجل؟

احمرّ وجهها حين التقت عيناه الزرقاوان وأجابت:

- عدا الذكور الأربعة الذين ذكرتهم، ليس هناك أحد.

- ألن تسمح لي شقيقتك بقضاء عطلة أسبوعية واحدة معك؟

- طبعاً ستفعل ولكنني في الأسبوعين الماضيين كنت مرهقة إرهاقاً جعلني لا أقوى إلا على الاستلقاء كالميتة وحدي وكان أن بقيت في شقتي. وأنت تعلم أنني كنت أعمل حتى الموت في المكتب. في نهاية هذا الأسبوع قررت أختي دعوة بعض الأصدقاء ومن عادتي أن أساعدها في إعداد الطعام وفي وضع كارول في مهدها.. ومثل هذه الأمور..

ابتسمت على نظرة الأسى التي بانت على وجهه، وترددت قليلاً:

«بيرس؟»

رنا إليها بطرف عينه: «نعم».

- أتحب أن تأتي؟ ستسعد ليديا وهنري بك.. إنهما زوج مضياف. إلا إذا كنت تجد مثل هذه التجمعات مملة.. أعني.. أرجوك لا تتردد بالرفض إن كنت لا تريد.

رد بيرس بسرعة:

- سأكون هناك في الوقت الذي تحددينه. ما هو العنوان، وما اسم المضيف؟

- هيدجروز.. ستوني لاين.. تولمارستون.. دكتور هنري مايسون. المنزل هو الثالث إلى اليسار وفي حديقته عواميد فيكتورية الطراز.

سجل بيرس العنوان على دفتر ملاحظات صغير وأعاده إلى جيبه، ثم تطلع إلى المطر.

- أعتقد أنك تدركين الآن، أن معظم الموظفين وصلوا الآن. وهم يحترقون فضولاً لمعرفة سبب وجودك في سيارتي في الصباح الباكر.. وأعتقد أن سمعتك قد ساءت إلى درجة ستعجزين عن إصلاحها.. انتظري، سأمسك المظلة أثناء خروجك. يا إلهي ما هذا الصياح!

تسللت جوليا من السيارة بسرعة:

- ربما من الأفضل أن أدخل وحدي.

- تشعرين بالخجل لأنني معك؟

أمسك مرفقها بقبضة قاسية، واقتادها إلى الباب الخلفي في الداخل. وعندما أصبحا أمام الاستعلامات طالعهما وجه إيملي الدهش من رؤيتهما معاً.

- صباح الخير جوليا، صباح الخير سيد هارتويل.

رد بيرس بمرح وهو ما يزال ممسكاً بذراع جوليا:

- صباح الخير إيملي.. ألم يصل شيء بواسطة التلكس؟

- لا سيدي، ولكن السيد ويكهام يريد التحدث إليك متى استطعت.

هز رأسه موافقاً، وارتقى السلم متأبطاً ذراع جوليا. فتمتمت: «دعني أذهب وحدي».

برقت عيناه الزرقاوان بضحك مكبوت فنظر إليها حين توقفا في منتصف الدرج.

- محرجة؟

- وأي إحراج. لم أعتد أن أكون محط الأنظار. ولا أريد بوجه خاص أن أبدأ بهذا الآن.

- رويدك، رويدك. اذهبي واخلعي معطفك، ثم أدخلي إليّ كل ما هو مستعجل لنبدأ بالعمل.

وأخذ يخلع معطفه، فأجابته تريد التخلص منه على عجلة:

- حاضر.. سيدي!

في الحادية عشرة والنصف أنهت التقرير ورسائل الأمس الكثيرة ثم أرسلتها إلى بيرس الذي وقعها وهو يشرب القهوة.. ثم قال مشيراً إلى عدد من الرسائل:

- بإمكانك إنهاء أمر الرسائل المتبقية بنفسك، فأنت تبدلين أشياء كثيرة على أي حال.

- هذا فقط حين تكرر نفسك.

- حسن جداً.. لا تغضبي.. فالنسخة الأخيرة تكون مصقولة دائماً لكن

www.alkottob.com

يجب أن تكون هكذا يا آنستي الذكية.. أنت الحاملة درجة جامعية في الأدب الإنكليزي..

وقف بيرس متمطياً.

- حسناً.. من الأفضل أن أذهب الآن. أنا واثق أن لديك ما يشغلك في اليومين القادمين.

- أجل، فقد تأخرت في إنهاء بعض الأمور الروتينية.. وما أشد ما ستكون سعادتي حين أنهيها.

لوّح بإصبعه في وجهها وهو يدور حول المكتب:

- ستذهبين إلى البيت في الخامسة كل يوم لتنامي في التاسعة، وحذار المبالغة في العمل. ثمة بعض الدوائر حول عينيك..

- إن قولك للطيف حقاً! أنت تعني بكلمات أخرى أنني أبدو كعجوز شمطاء.

جذبها عن كرسيها، وأمسكها بحزم من كتفيها:

- أرجوك لا تسيئي فهمي جوليا دراغونر.. ما قصدته فعلاً هو ما سأخوض في بحثه حين يسنح لي الوقت.

حررت نفسها بسرعة منه، وأعادته معطفه الجلدي وحقيبة أوراقه.

- قد سيارتك بحذر.. فما زال المطر يتساقط ولا شك في أن الطرق مليئة بالمستنقعات.

رمى معطفه حول كتفيه وقال:

- تقولين هذا وكأنك قلقة عليّ حقاً.

- بالطبع قلقة. فما تقوده آلة قوية، فلا تنطلق بجنون على الطريق العام.

أمام الباب التفت بيرس إليها:

- سأكون معك ليلة السبت جوليا.. ماذا تتوقع أختك أن أرتدي؟

- آه، يرتدي الرجال الملابس العادية أما النساء فيحافظن على المظهر الأنيق. أعتقد أنها سترحب بك مهما ارتديت.

نظر إليها مباشرة، وملء عينيه التساؤل:

- وهل سترحّب بي.. جوليا؟

عيناها السوداوان لم تفارقاه عندما هزت رأسها إيجاباً. ابتسم فجأة واختفى تاركاً جوليا قلقة، أهي مستريحة أم منزعجة لسفره؟

أحست جوليا بعد يومين من الراحة النسبية وبعد إنهاء الأعمال المتراكمة بأنها استعادت نفسها.

سارت بعد الغداء مع أوليفيا ظهر الجمعة تتمتعان بأشعة شمس تشرين الثاني التي وهنت قوتها.. أثارت أوليفيا فجأة موضوعاً كان يشغل حيزاً كبيراً من تفكير جوليا في الأسبوعين المنصرمين.

- ثمة ما يزعجني حقاً جولياً.. لا أرى من الإنصاف أن تفقدي عملك بسبب النظام الجديد.

- لا تقلقي، فأنا واثقة من إيجاد عمل آخر بدون صعوبة تذكر. فأنا مؤهلة والسيد هارتويل بدون شك سيعطيني شهادة عمل ممتازة..

ازداد اضطراب وجه أوليفيا:

- أليس هناك مركز لك في لندن؟

ضحكت جوليا:

- يا الله.. لا! فلندن آخر مكان قد أرغب في الذهاب إليه.. أنا سعيدة بمخبأي الصغير هنا.. ويجب أن أقول إنني أتوق شوقاً لرؤية ليديا هذا الأسبوع. ولئلا يأتي هنري لاصطحابي في الصباح سأستقل الباص مبكراً.

- بالطبع.. ليس لديك وسيلة نقل.. نسيت أمر السيارة.. لماذا لا تذهبين هذا المساء؟

- لم أفكر في الأمر. ولكن ما المانع؟

- سأذهب إلى كوفنتري لأصطحب أبف من قطار السابعة القادم من لندن.. أستطيع اصطحابك وإيصالك إلى منزل ليديا في طريقي.

- رائع.. شكراً لك أوليفيا. إذن موعدنا في السادسة.

عملت جوليا بقلب منفتح طوال الظهيرة وأنهت أعمالها في الثالثة والنصف ثم توجهت إلى مكتب أوليفيا، وأطلت برأسها من الباب.

- سأذهب الآن.. أريد أن أستحم على مهل.

ابتسمت أوليفيا في وجهها.

www.alkottob.com

- شعرك يحتاج إلى وقت ليجف.. لماذا لا تقصينه؟

- هكذا أسهل، فأنا أقلق لمجرد التفكير في الجز والتجعيد.. طالما تمنيت لو كان شعري ناعماً كشعر ليديا.. أراك فيما بعد.. وشكراً مرة أخرى.

عادت أدراجها لتتأكد من أن مكتب بيرس في حالة لائقة ليوم الاثنين.. غريب كيف أصبح المكان بسرعة «مكتب بيرس».. ثم عادت إلى مكتبها عند سماع رنين الهاتف.. سرعان ما أطلق الصوت العميق في الهاتف نبضات قلبها فتسارعت:

- لماذا لم تذهبي حتى الآن إلى المنزل جوليا؟ طلبت منك الخلود إلى الراحة حتى أعود!

- لو ذهبت، لما تحدثت إليك الآن.. أهناك ما تريد مني القيام به من أجلك؟

- ربما أطالبك بهذا ليلة الغد!

استطاعت أن تتصور ابتسامته.

- وحتى ذلك الوقت، فكرت في تذكيرك بأننا على موعد.. فهل سها الأمر عن بالك.

- لا.. لم أنس.

- عظيم.. ولكن ربما سأتأخر قليلاً في الوصول، فأمامي أعمال كثيرة أنهيها غداً.

- عظيم..

- إذن.. اذهبي إلى البيت.. الآن، هذا ليس طلباً بل أمراً.

ضحكت جوليا بعذوبة:

- رغباتك أوامر لي.. سيدي.. أنا في طريقي إلى البيت.

- إلى الغد إذن.. إلى اللقاء.

تركت جوليا المبنى وإحساس بالدفء المترقب يلفها.

في الطريق إلى محطة الباص اشترت حلوى وكتباً للأطفال وكرة مخملية ناعمة للطفلة.

ثم وهي في المغطس راحت تغني بفرح وبعد ذلك جلست تحتسي فنجاناً من القهوة وتجفف شعرها بفرشاة كهربائية. ما إن تمت العملية الطويلة، حتى ضفرت شعرها البرّاق في ضفيرة سميكة، وارتدت جينز أسود وكنزة صفراء شاحبة، وانتعلت مداساً عالياً يصل إلى حد الركبة. ثم وضبت ملابس داخلية، وملابس خاصة بالنوم في حقيبة صغيرة مخصصة للعطل الأسبوعية وبعد ذلك فتشت في خزانتها عن ثوب ترتديه في الحفلة. ولكن، لم يعجبها أي ثوب من الأثواب ووجدت نفسها تقرر فجأة أمراً ما. أقفلت الخزانة، والحقيبة، ونزلت تودع السيدة هيكنز.

وصلت أوليفيا في الوقت المحدد فأقلتها إلى آخر شارع «ستوني لاين» ثم أطلت بوجهها خارج النافذة تصيح بجوليا.

- يجب أن تبقي هذه الضفيرة على ظهرك دائماً.. أنت تبدين بها رائعة.

لوحت جوليا لها مودعة، وانطلقت تهبط الشارع المنحدر نحو منزل شقيقتها في شارع هيدجكروز.. كانت قد قررت ألا تتصل بهم، على أمل أن يُفاجؤوا. دخلت من الحديقة الكبيرة إلى منزل واسع بُني قبل الحرب، من أحجار صخرية.. ضغطت على الجرس القابع قرب باب سنديانى ضخم وانتظرت بترقب. فتح الباب ترايسي ذو الثمانية أعوام، وسرعان ما أضيء وجهه وأشرق، ورمى بنفسه عليها.

- خالتي جوليا.. ظننتك قادمة غداً.

وسرعان ما انضم إليه أخواه الصغيران وكلباهما الكبيران الصاخبان ولم يلبث أن أحاطها الجميع بصخبهم. الكلبان ينبحان، والصبيان يثرثرون بلا انقطاع يجرّونها إلى الردهة الداخلية أما ترايسي فاهتم بوقار بحقيبتها.

هبطت ليديا السلالم عدواً ثم مدت ذراعيها.

- جوليا! ما هذه المفاجأة الرائعة! كيف وصلت إلى هنا؟

- عرضت عليّ أوليفيا جيتي أن تقلني، فجئت هذا المساء بدلاً من الغد... فهل أربكتك؟

- وكيف تربكينني أيتها الحمقاء؟ أنت مدينة لنا بوقت إضافي على أي حال بعدما تخليت عنا في الأسبوعين الماضيين.

www.alkottob.com

دخل الجميع إلى غرفة الاستقبال وهناك أجلست جوليا على أكبر الأرائك وعلى كل جانب جلس صبي من أبناء أختها كما جلس آخر في حضنها أما الكلبان فقبعا فوق قدميها. تنهدت حين قدمت لها ليديا العصير.

ـ أشعر بأن أجيالاً مرت منذ كنت هنا آخر مرة. اشتقت إليكم جميعاً.. أين كارول؟

ـ في مهدها. لو عرفت بقدومك لما أخلدتها إلى النوم. ولكنني مسرورة لأنني لم أعرف، فالمفاجأة كانت سارة.

ارتدت ليديا في مقعدها قليلاً، ولوت رأسها إلى الجانب، تنظر إلى جوليا بإمعان.

ـ تبدين مختلفة.

ـ لم أرغب في رفع شعري بعد الاستحمام. وأظن أن بعض التغيير جيد لي.

قالت ليديا عن غير اقتناع:

ـ ربما.. لكنك تبدين.. دعيني أرى.. مزهرة، كما أظن.

ضحكت جوليا، تحس بخجل غريب.

ـ إنه تأثير الشامبو الجديد.. إنه كفيل بأن يحوّل المرأة إلى امرأة مختلفة... مايك ما بك؟

كان ابن الأربع سنوات على ركبتيها، ينظر إليها بعينين ملهوفتين يشد ضفيرتها للفت اهتمامها.. تظاهرت جوليا بأنها لم تفهم:

ـ عجباً مايك مايسون، ماذا تريد..

سألها باتفعال:

ـ ألم «تلدي» لنا «ثينا» خالتي «ذوليا»؟

وبخه فيليب صاحب السلطة على إخوته:

ـ لا يُفترض بك أن تسأل.

استسلمت جوليا، ووجهت ترابسي إلى حقيبتها.. فحملها وفتحها على الأرض. وتشارك الثلاثة الحلوى وكتب الأطفال، وسرعان ما عاد السلام.

أخيراً قالت ليديا لجوليا:

ـ هيا، فلنصعد إلى غرفتك. يا أولاد، يمكنكم مشاهدة التلفزيون قليلاً.. واعلموني متى وصل والدكم.

نظرت جوليا حولها برضى وهما ترتقيان الدرج. كان منزل ليديا مزيجاً بين القديم والحديث. كُسيت الأرض بسجادة برونزية قبعت فوقها مقاعد مكسوة بقماش قطني وكراسي مخملية. سحبت جوليا أنفاساً عميقة تشم رائحة الزهور الموضوعة في مزهريات.

رمت ليديا الحقيبة فوق السرير في الغرفة الإضافية، وجلست قربها، تنظر إلى جوليا نظرة ترقب:

ـ حسناً.. كيف الأحوال في مناجم الملح؟ يبدو أنك نجوت بحياتك.

ـ في الواقع.. الأمور أهدأ الآن.. بيرس في لندن منذ يومين وقد وجدت خلالهما بعض الراحة.

ارتفع حاجبا ليديا حتى كادا يختفيان تحت شعرها:

ـ بيرس؟ هل أصبحتما تتبادلان الأسماء الأولى الآن؟ حين حدثتك عنه في المرة الأخيرة لم تتحدثي عنه بود إطلاقاً.

عبثت جوليا بشعرها هنيهة ثم قالت بلا اكتراث:

ـ أتمانعين في حضور ضيف آخر ليلة الغد.. ليديا؟

قفزت ليديا واقفة، وعيناها تبرقان:

ـ هل دعوت أحداً حبيبتي؟ طبعاً لا أمانع.. من هو؟

ـ بيرس هارتويل.. حقاً ليديا.. أقفلي فمك المشدوه! أنت فاغرة فاك!

كررت ليديا بذهول:

ـ بيرس هارتويل؟ لكنني اعتقدت أن الخناجر مرفوعة بينكما. ألم تقولي إنه يظنك عابثة تسعين وراء أبيه؟

ـ ليديا من أين تأتين بهذه الألفاظ السوقية؟ حسناً إنه الآن يعرف أنني لست فتاة عابثة ويعرف أنني أرملة وهو نادم على ما بدر منه.. كان الأمر صعباً في البداية.

بدأت ليديا تفتح حقيبة أختها، وقالت ساخطة:

www.alkottob.com

- صعب! إنك تهونين من الأمر بوصفك هذا جوليا.. على فكرة.. لا أجد في الحقيبة إلا ملابس داخلية وغلالة نوم. لدينا حفلة غداً أنسيت؟

- فكرت إن لم يكن هنري مشغولاً في الصباح، أن نذهب إلى «كوفنتري».. أريد شراء ثوب أرتديه.. سئمت من الملابس البسيطة.

ضحكت ليديا:

- لا.. هنري ليس مشغولاً.. ونعم سأرافقك.. أحب أن أبذّر مال الآخرين.. أهذا كله بسبب قدوم بيرس هارتويل غداً؟

ردت جوليا ببساطة: «أجل، أظن هذا».

- أكل شيء على ما يرام جوليا؟ أعني ألن تتألمي؟

- إياك وهذه الكلمات يا شقيقتي.. أنا فتاة كبيرة الآن.. وأريد شيئاً جديداً.. وللمرة الأولى منذ وفاة باتريك أتواعد مع رجل وكنت أنا من حدّد الموعد. كان بيرس يريد مني أن أتناول العشاء برفقته مساء السبت، ليعوضني عما سببه لي.. وبما أنني لم أشأ العودة إلى عدائنا السابق، فكرت أنه قد يرغب في المجيء إلى هنا وكان أن قبل الدعوة بحماس.

ضحكت ليديا:

- وهذا ما ظننته.. فالدعوات إلى حفلات آل مايسون لا تأتي بسهولة.. وهذا يبدو لي عجرفة بطريقة ما.. أليس كذلك؟ آه.. يا إلهي.. هذا الضجيج ينبيء بمجيء هنري.

لحقت جوليا ببطء بأختها التي هرعت إلى زوجها الضخم الأشقر تعانقه:

- مرحباً حبيبي.. أليس الأمر جميلاً؟ جاءت جوليا الليلة عوضاً عن الغد. ولا أظنك تمانع في رعاية الأولاد صباحاً.. فهي تريد الذهاب إلى كوفنتري لشراء ثوب جديد، لأنها دعت بيرس هارتويل إلى حفلتنا.. و...

قاطعها هنري مبتسماً: «أوافق على كل شيء».

ثم التفت ليعانق جوليا، التي راح يمعن النظر فيها باحتراف ساخر.

- من المفترض بك أن تكوني شاحبة مرهقة إلى حد الشفقة أو بالأحرى هذا ما أوحته حكايات الويل والثبور التي ما انفككت أسمعها من ليديا كل

ليلة.. ولكن بمظهرك هذا وبضفيرتك المتدلية على ظهرك، تبدين في الخامسة عشرة.

احمرّ وجه جوليا وأسرعت تتطوع في وضع مايك في الفراش وسرد قصة عليه. حملته على ظهرها فوق السلم تصيح إلى ليديا:

- ألن يؤثر وجودي على ترتيباتك؟ فربما الطعام غير كاف.

- بالطبع لا.. لقد حضرت طعاماً كثيراً الليلة، سأضيف إليه بعض الفاصوليا والبطاطس. كما أنك لا تأكلين كثيراً.

- لا تعتمدي علي هذا، لأنني في الواقع أتضور جوعاً.. تمسك جيداً مايك، أنت تنزلق قليلاً.

تبادل الزوجان النظرات بحواجب مرفوعة، أما جوليا فاختفت هي وحملها الخفيف. قال هنري:

- وماذا عن رئيسها القادم إلينا ليلة الغد؟ اعتقدت أنه لم يكن على لائحة معجبيها.

- يبدو أن الأمور تغيرت هذا الأسبوع، حبي، ولكنني آمل..

تلاشى صوت ليديا، ونظرت إلى زوجها بقلق، فلفّ ذراعه حولها وقبّل خدها.

- لا يمكنك حمايتها من كل شيء ليديا.. إنها راشدة وهي عاقلة.. والأهم أنه لن ينفذ مآربه الشريرة حين يوصلها إلى البيت، فهي باقية هنا.. والآن ماذا عن العشاء.. أتضور جوعاً!

* * *

www.alkottob.com

٤ ـ الأرملة المرحة

استيقظت جوليا باكراً في الصباح التالي، وتسللت على رؤوس أصابع قدميها إلى الغرفة المجاورة فوجدت كارول، ابنة الثمانية أشهر تجلس في مهدها، رافعة ذراعيها استعطافاً. حملتها جوليا وهي تقول:

ـ لا بأس يا فاتنتي، سألبسك ثيابك ثم نتناول بعد ذلك الفطور.

تمتعت بتلبيس الجسد الصغير الدافىء المتلوي ثيابها المؤلفة من سروال صوفي وكنزة. وبعد أن أنهت عملها هذا أصبحت مستعدة لتناول الفطور في المطبخ المشرق الذي فيه خزانة خشبية معدة لأدوات الطعام وستائر قطنية صفراء ونباتات اصطفت على حافة النافذة.

وضعت جوليا الطفلة في مقعدها المرتفع وسألتها:

ـ ماذا تفضلين.. الدجاج؟ ما رأيك بالعصير يتبعه بيضة مسلوقة؟

ـ عظيم!

كان هذا رد ليديا التي تثاءبت أثناء دخولها إلى المطبخ:

ـ أعدي فطوراً لثلاثة. كيف حالك هذا الصباح..؟

ـ بخير، شكراً.. لقد نمت كلوح الخشب. حضّري القهوة أما أنا فسأحضر ما تبقى.

بتعاونهما سرعان ما وجدتا نفسيهما تأكلان وتطعمان كارول الصغيرة.

ـ سنصحبها معنا جوليا.. إنها لا تسبب المتاعب.. ولو خرجنا باكراً لاستطعنا أن نوقف السيارة أمام ذلك المتجر الذي اكتشفته.

ـ وماذا عن أسعاره؟ إنها باهظة دون شك.

ـ يحصل المرء على ما يدفع ثمنه حبي.. ثم أنا لا أذكر أنك اشتريت ثوب سهرة منذ أجيال.. ماذا ستختارين؟

ـ تعرفين ما أحب ليديا؟ أريد ثوباً جنونياً غير عملي.. لا أدري بالضبط ما هو، ولكنني أريده من الحرير الأنيق. مؤخراً كنت أرتدي ثياباً بسيطة.

وقفت ليديا تغسل الصحون بسرعة.

ـ فلتنطلق إذن.. أنا واثقة أن لدى سيليسيت ما يعجبك. لا أظنها فرنسية حقاً.. إنها صورة تحاول إظهارها ولكنها تملك ذوقاً رفيعاً.

وسرعان ما انطلقتا إلى كوفنتري في سيارة ليديا «الميني» الحمراء، وكانت معهما الطفلة التي راحت تثرثر بلا توقف في مقعدها الخاص.

قالت جوليا بطريقة عفوية، وهما تقتربان من المدينة:

ـ لدى بيرس سيارة بورش.

ـ رائعة! هل ركبت فيها؟

ـ أقلني إلى المنزل في إحدى الليالي، ثم عاد واصطحبني في الصباح إلى العمل، لأن الطقس كان عاصفاً.

بدت ليديا متأثرة بما سمعت مع أنها حاولت عبثاً ألا تُبدي دهشتها وهذا ما جعل جوليا تغرق في الضحك.. غضبت ليديا:

ـ آه جوليا.. لم تخبريني شيئاً عن هذا ليلة أمس. أيتها اللئيمة! لقد تغيّر مستوى علاقتكما جذرياً عن الأسبوع الماضي..

ـ إنه في الواقع فاتن ساحر حين لا يكون ساخراً. وأنا الآن أعرف لماذا كان هدفاً للنساء المزباوات وربما المتزوجات منهن أيضاً..

عبست ليديا وهي تخفف سرعة السيارة وسألت بوقاحة:

ـ هل وقعت في حبه جوليا؟

ـ لا.. ولكنني بدأت أرى أنه من السهل الوقوع في حبه. على أي حال، لقد دعوته للمشاركة بحفلتك فقط، ولا أعتقد أن كارثة ستحل عليّ وأنا في غرفة تعج بالناس.. أظنه يريد التعويض عن شكوكه فيّ وفي أبيه..

ـ ولكن رغم ذلك علينا أن نجهّزك بدرع ما.. والثياب الرائعة قد تكون دعماً معنوياً جيداً لك.

حين وصلتا إلى المتجر ترددت جوليا خاصة وهي ترى مدى أناقة المتجر وفخامته.

www.alkottob.com

- كم ستكلفني هذه المناوشة الصغيرة ليديا؟ أسعار المحل على ما يبدو غالية.

ردت ليديا بحزم:

- سنصرف المال.. لقد اشتريت فستاني الذي سأرتديه الليلة من هنا الأسبوع المنصرم. وقال هنري إنني أبدو فيه مذهلة.

- هنري يعتقد أنك مذهلة مهما ارتديت. إذن هذا ليس مقياساً.

دفعت ليديا بعربة ابنتها إلى المدخل العابق بالعطر، تاركة جوليا في المؤخرة، حيث المرأة المتزمتة المرتدية ثوباً أسود بسيطاً:

- صباح الخير مدام سيليسيت.. أعرف أنك لا تعترضين لأنني اصطحبت معي ابنتي التي سرعان ما ستنام. هذه شقيقتي، السيدة دراغونر وهي تريد شيئاً مميزاً.

- سيدة مايسون تسرني رؤيتك من جديد. كيف حالك سيدة دراغونر.. أرجوك.. أخبريني ماذا تريدين. فأنا واثقة من أنني قادرة على تلبية ذوقك.

ترددت جوليا:

- لا أريد إلا فستاناً قصيراً ربما أسود، ولكنني لا أريد شيئاً معقداً فأنا لم أقرر حتى الآن ما أريد بالتحديد.

حدجتها المرأة بنظرة شاملة:

- مقاسك عشرة.. على ما أظن؟

هزت جوليا رأسها إيجاباً.

بعد ساعة خرجت الشقيقتان، ليديا منتصرة وجوليا مسحورة. فقد أقنعتها سيليسيت، بكل لباقة، بأن الحرير الخالص ذي اللون العقيقي سيبدو رائعاً على بشرة جوليا السمراء.

كان الفستان الذي أحضرته لها ضيقاً مستقيماً، له كتفان رفيعتان وسترة قصيرة مماثلة مصنوعة من قطع تشبه النقود وهي تحمل اللون الأحمر القاتم ذاته. في هذا الوقت، كانت جوليا قد نسيت كل ما يتعلق بالتوفير فقالت:

- أيمكننا البقاء بضع دقائق أخرى ليديا، أريد حذاءً جديداً يليق بالفستان.

وافقت ليديا بسرعة وما هي إلا فترة وجيزة حتى عادتا إلى السيارة، وذراعا جوليا مليئتان بالمشتريات. وعندما قفلتا راجعتين إلى المنزل أخذت الشكوك تراود نفس جوليا، فقالت:

- تدركين أنني مفلسة تقريباً الآن ليديا.

- هراء! هذه الملابس تستحق كل ما صرف عليها. الغريب أن الفستان رغم بساطته يبدو مثيراً جداً.

- مثيراً؟ أتظنين أن إثارته واضحة؟

- بالله عليك جوليا.. أنت ترتدين ثياب السكرتيرة النموذجية كل يوم.. لذا يحق لك أن تتألقي بين الحين والآخر كما بإمكانك ترك شعرك مسترسلاً أيضاً. ثم عودي وصففيه، فهذا يناسبك.

لكن جوليا كانت تشك في أن تصفيره مناسباً للحفلة، ولكنهما كانتا قد وصلتا إلى المنزل، وسرعان ما أحاط بهما الأولاد والكلبان فضاع شكها في الحركة الدؤوب التي استمرت حتى آخر النهار.

بعد الغداء جلست جوليا وأجلست كارول على ركبتيها، أما الأولاد فراحوا يلعبون في الحديقة فيما راح الكبار ثلاثتهم يرتشفون القهوة ببطء.

كانت ليديا تصف فستان جوليا الجديد لهنري، الذي نظر إلى وجه جوليا الحزين: «أتعيدين التفكير جوليا؟».

ردت بخشونة:

- نعم ربما. لا أفهم سبب دعوتي له، فأنا لا أتهور عادة ولكنني شعرت بأنه تألم عندما قلت له إنني مرتبطة وهذا غريب أليس كذلك؟

ردت ليديا بسرعة:

- لا تعقدي المسألة يا حبي. فسيحضر الحفلة أناس كثر وبإمكانك تسليمه إلى.. سافرين ويلر مثلاً.. فهي قادمة.

ضحكت جوليا.

- سافرين محبوبة فعلاً.. ويمكنك الاعتماد عليها دائماً فهي لا تأتي إلا مرتدية ما يذهل الضيوف.

بدأت ليديا تلملم أغراض القهوة وتقول:

www.alkottob.com

ـ لديها هدفان رئيسيان في الحياة . . الرجال، والجياد. أتعلمين؟ أنت تريد تناول القهوة في صبيحة اجتماع «إنقاذ الطفولة» وهي مرتدية الجينز المكسو بالقش وسماد الخيل، وكان يعلوه كنزة مشقوقة الكم. والسبب أنها أمضت الليل مستيقظة أمام فرسها التي كانت تلد وقد أتت بثيابها تلك. ثم في المساء شوهدت مرتدية قميصاً من الشوفين وسروالاً جلدياً ضيقاً لماعاً مع مداس عال يصل إلى حد الركبة. في الواقع أنها طيبة القلب ولكنها تبدو زوجة مذهلة لمستشار.

تمتم هنري ضاحكاً وهو يساعد زوجته:

ـ بل حتى لأي شخص آخر.

ـ على أي حال جوليا، بإمكانك تسليم بيرس إليها إذا أحسست بالتوتر.

ـ إنه ليس حزمة شاي! بيرس ليس ممن يسهل التخلص منه.

ما إن حلت السادسة من ذلك المساء، حتى كانت ليديا وجوليا قد حضرتا كل ما يلزم من طعام. ثم جمعت جوليا الأولاد وأرسلتهم إلى غرفتهم أما ليديا فاهتمت بالطفلة. قالت جوليا للأولاد:

ـ ترايسي، فيليب، اذهبا إلى الحمام الكبير، أما مايك فسأصحبه إلى حمام أمكم، ثم نلعب بعد ذلك لعبة هادئة حتى تستعد أمكم وأباكم للحفلة.

رد مايك بحزم:

ـ سنلعب لعبة الأفاعي والسلالم.

تذمر ترايسي: «نلعب هذه اللعبة باستمرار».

قالت جوليا:

ـ سنلعب لعبة الأفاعي والسلالم أولاً . . ثم أضع مايك في فراشه، وبعد ذلك ألعب أنا وترايسي وفيليب لعبة أخرى.

سرعان ما كان الصبيان الثلاثة يلتهمون كمية كبيرة من الحساء والبيض المخفوق المقلي، في هذا الوقت كانت جوليا تتلهى بإعادة الكرة المخملية التي تستمر الطفلة في رميها إلى خارج مربع اللعب وهي تضحك عالياً.

كانت الساعة السابعة، حين بدأت جوليا بارتداء ثيابها، وكانت قد وضعت الصغيرين في الفراش، أما الأكبران فسمح لهما بمشاهدة التلفزيون

حتى يحين موعد وصول الضيوف.

استحمت جوليا بسرعة، ثم ارتدت الفستان الأحمر القاتم، وراحت تنظر إلى نفسها بريبة. لا يستطيع أحد أن ينكر أنه يلائمها كثيراً. ولكنها أملت ألا يكون انسجامه مع قدها الرشيق مبالغاً فيه ثم زينت وجهها بعناية أكثر من المعتاد، مستخدمة لوناً أحمر أبرز عينيها السوداوين النجلاوين وأحمر شفاه جديد، كان رائعاً، وحينما أنهت وضع آخر اللمسات كشرت في وجهها أمام المرآة.

أما شعرها فرفعته ولم تعمل بنصيحة ليديا التي نصحتها بتركه مسترسلاً. ثم تزينت بالسلسلة التي تحمل الحرف الأول من اسمها وعطرت نفسها بعطر شذي الرائحة وانتعلت حذاءها، وأضافت السترة المعدنية اللماعة، ونظرت نظرة أخيرة إلى نفسها في المرآة. . حسن جداً جوليا. . هكذا يجب أن تكوني. . نظراً للمواد الأساسية المستخدمة تعتبر النتيجة مذهلة.

دخلت ليديا بسرعة مرتدية فستاناً من الشوفين القرميدي المحلى بالتوليب الأسود:

ـ جاهزة حبيبتي؟

ـ ما هذا الفستان الساحر ليديا. . هنري على حق!

ـ لا تهتمي بي يا حبي ودعيني أنظر إليك. استديري. .

صمتت ليديا هنيهة طويلة حتى شعرت جوليا بالقلق فسألت:

ـ هل أبدو غريبة؟ لا تقفي صمّاء بكماء!

أطلقت ليديا نفساً طويلاً:

ـ كنت أحاول أن أجد الكلمة المناسبة. . فأنت تبدين. . مشرقة مضيئة، وكأن بشرتك، وشعرك، قد التقطا لمعان السترة. . أعتقد أن عليك العودة إلى سيليسيت لإعطائها المزيد من المال. . فقد حظيت بصفقة ممتازة!

ضحكت جوليا على كلام أختها المبالغ فيه: «أرجوك لا تتحيزي».

أمسكت ليديا بيد أختها تقودها إلى خارج الغرفة.

ـ تعالي لنشرف على الموسيقى التي يضعها هنري في المسجلة. أريد

www.alkottob.com

شيئاً صاخباً يعج بالحركة ويطبح بنا عن الأرض.

استدار هنري عندما سمعهما تنزلان:

- هاي جوليا.. تبدين مذهلة.. لا.. فأنا أعني ما أقول. ما أروع أن نكون قريبين!

ضحكت جوليا:

- كلام مهذار! وهل ترى أحداً سوى ليديا عندما تكون بقربك! شكراً لك على أي حال حبي.. أعطني كأساً وهو سيكفيني طوال السهرة.

سرعان ما أرسلت ليديا ولديها إلى النوم بعد وصول أول الضيوف، وما هي إلا برهة قصيرة حتى عج المنزل بالموسيقى والضحك. كانت جوليا تعرف معظم المدعوين. فراحت تدور من مجموعة إلى أخرى، تقدم المقبلات والشراب.. كانت تتحدث إلى شريك هنري وزوجته، حين رأت صهرها يشير إليها، فاعتذرت منهما وانسحبت.. كان يتحدث إلى شاب طويل أشقر نظر إليها مذهولاً حينما تقدمت منهما، وأمسك يدها بحرارة. فقال هنري:

- هذا بيتر لاين.. الطبيب المتمرن الجديد.. بيتر هذه شقيقة زوجتي، جوليا دراغونر.. اهتمي به جوليا وقومي بتعريفه إلى المدعوين.

قادها الشاب الأشقر الطويل إلى زاوية هادئة في القاعة المستطيلة الشكل ووقف ينظر إليها، بارتباك وذهول.

- آسف لانصعاقي هذا.. قابلت منذ برهة السيدة مايسون.. وقبل أن أستفيق من صدمتي، قدمني هنري إليك. هل هناك المزيد من الشقيقات المذهلات؟

- ليس هناك سوانا.

أمسك يدها اليسرى، ثم رفع يده الأخرى يغطي عينيه بطريقة درامية وقال بلهجة مأساوية:

- كان يجب أن أعرف أنك مرتبطة!

آه.. يا إلهي.. ها قد عدنا مجدداً. فقالت بصوت مستسلم: «أنا أرملة.. سيد لاين».

www.alkottob.com

ـ أعتقد أن عليّ القول إنني آسف لهذا. ولكنني لست آسفاً.. آه.. يا إلهي أحدث الأمر مؤخراً؟

هزت رأسها نفياً، فتنفس الصعداء ثم أردف:

ـ لست ممن عرف باللباقة لذا لا تحملي أقوالي ضدي.

ـ حسناً سيد لاين.. والآن، من تحب أن تقابل؟

ـ رجاء ناديني بيت.. وفي هذه اللحظات، أنا أكثر من سعيد لبقائي حيث أنا بالضبط، فلا تبعديني عنك بعد فترة قصيرة.

مدت له كأسها مبتسمة:

ـ ربما تحب أن تملأ لي هذا وتضيف إليه شيئاً من المياه الغازية، واملأ كأسك أيضاً ثم ارجع.

تحرك طائعاً بين المجموعة الصاخبة أما جوليا فنظرت إلى ساعتها. فإذا الوقت يكاد يبلغ التاسعة ومع هذا لم يصل بيرس.. تنهدت.. ثم ابتسمت لبيتر الذي قدم حاملاً كأسها. وفيما كانت ترتشف كأسها سألها عن نفسها وعن طبيعة عملها.

أذعنت جوليا لسؤاله وراحت تخبره عن عملها، ثم سألته عن نفسه، ومن أين جاء. وأخبرته جوليا بكل ما تعرفه عن الضيوف الموجودين، والأماكن المحلية الجديرة بالزيارة، واكتشفت فيه حباً مشتركاً للمسرح. ثم قالت فجأة:

ـ كان من المفروض أن أعرفك إلى المدعوين.

ـ أعرف الجهاز الطبي الموجود ولكن بصراحة أنت من أريد التعرف إليه.. أتعيشين هنا؟ ألديك التزامات؟

ابتسمت جوليا:

ـ رويدك، رويدك. اهدأ.. أوه. انظر لقد وصلت سافرين ويلر. يا إلهي إنها فعلاً تأسر الأنظار! زوجها خلفها وهو مستشار في المجلس التشريعي.

كانت السيدة ويلر، المشغولة بعناق ليديا وهنري، ترتدي ما يبدو بذلة وردية اللون وتنتعل حذاء يصل إلى الكاحلين. أما شعرها فكان ذهبياً شاحباً

www.alkottob.com

خصلة منسدلة بجنون إلى أذنيها. التفت بيتر لابن إلى جوليا مصعوقاً:

- كنت أظن أن زوجات المستشارين يرتدين بذلات من قطعتين مع الحلي، أو على الأقل فساتين سوداء.

- مسافرين في غاية اللطف. ولكنها تبالغ قليلاً في ملابسها.

- تعنين إنها تبالغ في إبراز نفسها. على أي حال، فستانك مذهل.. هل أستطيع رؤيتك غداً لأصطحبك إلى الغداء، أو العشاء، أو إلى أي شيء ترغبين فيه؟

هزت جوليا رأسها مبتسمة:

- آسفة.. أنا هنا لقضاء عطلة الأسبوع، وغداء يوم الأحد مخصص لأولاد شقيقتي.

لكن عينيه البنيتين كانتا مصممتين:

- وماذا عن وقت آخر في غضون الأسبوع؟

بدأت جوليا تحس بأنها مطوّقة، فقد كان يقف مسنداً ذراعه إلى الحائط على مقربة شديدة منها. حاولت تغيير الموضوع:

- في الواقع، أحب أن أتناول كأس عصير آخر.

أجاب صوت عميق:

- ما هذه المصادفة السعيدة.. قالت أختك إنك تشربين العصير مع المياه الغازية جوليا..

استدار بيتر فوجد بيرس واقفاً هناك وفي كلتا يديه كأسان من عصير يتصاعد منهما رذاذ المياه الغازية. أخذت جوليا الكأس من يده، وأعطت الفارغ لبيتر، الذي راح ينظر إلى الوافد الجديد بلا ترحاب:

- مرحباً بيرس.. لم أرك تصل. هذا بيتر لابن، طبيب متمرن جديد لدى هنري.. بيتر، هذا رئيسي، بيرس هارتويل.

تمتم الرجلان كلمات ترحيب مهذبة، ثم نقل بيتر نظره من أحدهما إلى الآخر بتفهم كئيب، وقال بهدوء:

- سآخذ كأسك الفارغ جوليا.. أشكرك لأنك أشفقت علي. سررت بمعرفتك هارتويل.

ثم خط طريقه بين الضيوف.

راقبته جوليا بإشفاق، ثم ارتشفت جرعة سريعة من شرابها ونظرت إلى عيني بيرس المتأملتين.. ثم قالت تكرر قولها:

- لم أرك حين وصلت.

- وهذا ليس بمستغرب، فلاين الشاب.. كان يشغل بالك عن سائر الحاضرين. وهو على حق ولا ألومه لأن مظهرك الليلة لا يُصدق.

- كلامك غامض.

اقترب منها حتى التصقت كتفاهما.

- تعرفين جيداً ما أعني.. فسكرتيرتي المثالية ذات الكفاءة العالية نهاراً تنقلب إلى حورية فائقة الجمال ليلاً. وهذا الشاب أصيب بالدوار إنما ليس فقط بسبب هذه الملابس المتألقة التي ترتدينها.

نظرت إليه جوليا من فوق حافة كأسها مفكرة:

- أنت أيضاً تبدو مختلفاً قليلاً.

فقد استبدل بذلة العمل المتزمتة التي يرتديها في المكتب، بأخرى رائعة. وكانت النتيجة واضحة من خلال النظرات النسائية التي كانت تنصب عليه.

- أيعجبك؟

- أوه، أجل.. جذاب جداً.. ينضح بالجاذبية!

كل صديقات ليديا يتلظين من فضولهن.

نظر إليها بحدة: «ماذا أصابك؟»

- لا شيء.. أتلمح إلى أنني متوترة؟

- لست متوترة كل التوتر حبيبتي، لكنك غريبة الأطوار قطعاً.

ابتسمت له بسعادة:

- إنه إحساس لذيذ.. لم أختبر مثله من قبل.. على فكرة، ما رأيك بشقيقتي ليديا؟

- سيدة فاتنة جداً.. وصهرك رجل محظوظ.

- أنعجبك بيرس؟

www.alkottob.com

- لا تكوني سوقية . . فلست معتاداً على الإعجاب بزوجات الآخرين .

انسلت ذراعه حول قدّها الرشيق ثم أردف :

- مع أنني لا أمنع عن الأرامل الجميلات عينيّ .

تشنج جسم جوليا ، ثم استرخت مبتسمة :

- بيرس . . أتحاول العبث بي ؟

- لم أظن أن هناك من يستخدم هذه الكلمة في هذه الأيام ، حسناً وما دمت قد سألتني فأجل سيدة دراغونر ، أنا أحاول العبث بك . فهل من اعتراض ؟

هزت رأسها نفياً ، وأسندت رأسها إلى ذراعه . .

- متى عدت ؟

نظر إلى ساعته :

- وصلت . . منذ ساعة تقريباً . اغتسلت ثم ارتديت ملابسي ، وها أنا ذا .

- بيرس . . ! أنت دون شك جائع . فلنذهب ولنحضر بعض الطعام قبل الزحام .

- هذا إن وعدت بإيجاد مكان منعزل نأكل فيه .

- يجب أن أعرفك إلى الجميع . . سافرين ويبلر تكاد تستشيط غيظاً من الفضول .

- إن كنت تعنين تلك الشقراء المرتدية تلك الثياب القصيرة ، فقد قابلتها حالما وصلت . . قدمتني أختك إليها ، ولزوجين آخرين من الأطباء . . وهذا يكفيني في الوقت الحاضر . . شكراً لك . لماذا أراك مصممة على تجاهل الموضوع الأساسي جوليا . . لكن فلنكن واضحين . . أنا لم آت الليلة إلا لأراك .

كان كلامه في غاية الصراحة فازدردت جوليا ما في كأسها دفعة واحدة . . وقالت :

- لا تقل أقوالاً كهذه بيرس .

أمسك بيدها :

- ولمَ لا ؟ أنا أوضح دائماً موقفي . قودبني الآن إلى مائدة العشاء ، فلست الوحيد الجائع لأنني أراك بحاجة إلى بعض الطعام أيضاً .

www.alkottob.com

دخلا إلى غرفة الطعام التي كانت فيها ليديا تعيد النظر في ترتيب المائدة، ورفعت رأسها مبتسمة تحيي بيرس.

- وجدتها أخيراً سيد هارتويل؟

- أجل.. وجدتها.. كان رجل ضخم يخبئها في زاوية القاعة وقد بذل جهده ليحتفظ بها لنفسه. على فكرة.. يسعدني أن تناديني بيرس.

- طبعاً.. وأنا ليديا.. والآن خذ قليلاً من الروستو الذي اشتهر بصنعه، وأضف إليه ما تريد. وتأكد من أن تأكل جوليا شيئاً كذلك.. لا فائدة من العبوس جوليا، فمن عادتك أن تنشغلي بالناس وتنسي نفسك.. آه هذا هو هنري.. أستئذنكما.

ملأ طبقيهما باللذائذ المختلفة.. وأخذت جوليا تفكر في مكان تصحب إليه بيرس.. بعد استشارة هنري، اصطحبته إلى مكتبة هنري التي تقع في مؤخرة المنزل. فجلسا حول الطاولة وكأنهما يتآمران خلسة.

قالت جوليا وفمها ملآن بالطعام:

- إنه عمل غير اجتماعي حقاً.

- وهل من اعتراض؟

- لا.. لا.. أبداً.

- إذن فلنتمتع بطعامنا.. ليس لأنها فطائر من صنع يدي شقيقتك بل لأنني جعت جوعاً كدت معه آكل باقة الأزهار في الردهة.. لقد تأخرت كثيراً في لندن فلم أجد الوقت لتناول الغداء.. ثم اضطررت للقيادة بسرعة مجنونة على الطريق الرئيسية.. ولم أتوقف لتناول وجبة سريعة.

وضعت جوليا سكينها وشوكتها، لترتشف قليلاً من العصير، تنظر إلى بيرس مفكرة. فتوقف عن الاستمتاع بالطعام لينظر إلى العينين السوداوين الواسعتين المحدقتين إليه.

- تنظرين إليّ نظرة غريبة جوليا.

- كنت أفكر بردة فعل ليديا وهي تسمعك تصف الروستو بالفطائر! ثم.. ولأكون صادقة، كنت أفكر في تبدل مزاجك تبدلاً مذهلاً. في الأسبوع الماضي، كنت مستعبداً ساخراً لا رحمة في قلبه. وهذا الأسبوع، انقلبت

www.alkottob.com

إلى . . .

ـ إلى معجب متحمس أو إلى مرشح وحبيب أو إلى صديق ملؤه الأمل ؟

ـ إنها كلماتك لا كلماتي . ولكن مهما بررت تبدل مزاجك أجد صعوبة في فهم تبدلك من موقف متطرف إلى آخر . في الأسابيع الثلاثة الماضية كنت مستبداً عدائياً وفي بعض الأحيان لا تطاق .

أبعد بيرس عنه طبقه الفارغ متنهداً ثم استند إلى كرسي هنري الدوار .

ـ والآن جوليا . . أيروقك أحد اقتراحاتي ؟

ـ لست واثقة تماماً . . ولكنني أرغب في أن نصبح صديقين .

مال إلى الأمام يمسك بيديها :

ـ في البداية . . ظننتك امرأة متزوجة عابثة تستغل والدي . وقد كانت هذه الفكرة مهمازاً قاسياً وهذا ما جعلني أدفعك وأدفع نفسي إلى عمل مضن . فقد تصورت أنني بإغراقك في العمل ساعات طويلة أغلّ يديك عن تنفيذ شرورك . . والأمر بكل بساطة أنني كنت غيوراً وهذا ما كرهت نفسي من أجله . وأصبح العمل معي صعباً ، فالغيرة شعور جديد عليّ . ألا يمكنك مسامحتي على كل هذا؟

نظرت إليه بحزن هنيهة ، ثم هزت رأسها إيجاباً فتراجع في كرسيه :

ـ شكراً لك . والآن . . أترغبين في التحدث عن ترملك وأنت صغيرة في العمر؟

حاولت جوليا أن ترد بصوت خال من الانفعال :

ـ قتل باتريك في شهر العسل . بدأ تعارفنا منذ الطفولة فقد كان ابن الجيران ، ولكن منزله كان أكبر منزل في القرية ، منزل العمدة . . وكان لمنزله سور يحاذي سور أرضنا التي هي مقر منزل الكاهن . . أتريد حقاً سماع القصة؟

هز رأسه مبتسماً ومؤكداً . . فأردفت :

ـ ابتعد باتريك ليكمل دراسته في المدرسة الداخلية . . ولكننا في العطلات كنا نتطلق في البراري . . كان أهله يمنعونه من اللعب مع صبيان القرية ، ولأنني ابنة الكاهن سمح له بمخالطتي . علمني السباحة في النهر

واصطياد السمك فيه . . مع أننا لم نصطد كثيراً منه . وعلمني كيف ألعب التنس وكيف أركب الدراجة ، وأعطاني دروسي الأولى في قيادة السيارة . . نال درجته الجامعية في السنة التي نلت فيها الشهادة الثانوية . وفور تخرجه عُرضت عليه وظيفة في شركة للمحاسبة ، فقد كان لامع الذكاء . ثم مات أبي فجأة فأصر باتريك ألا أذهب إلى الجامعة ، وقرّر الزواج بي وكانت هذه الفترة من الفترات النادرة التي كنت فيها مع ليديا على طرفي نقيض . . فقد أرادت أن أتابع دراستي الجامعية لأنال درجة علمية مرموقة أما الزواج فطلبت إليّ أن أؤجله إلى ما بعد تخرجي وكان أن تمزقت بين اتجاهين ولكنني في النهاية استسلمت لباتريك تاركة وراء ظهري رغبة ليديا ، ومعارضة عائلته الشديدة . وبعد الزواج مباشرة قتل ، والتقطت ليديا وهنري أشلائي الممزقة . . ولملما جراحي ، وأصراعلى أن أعود إلى الجامعة . والباقي تعرفه .

وقف بيرس وأدارها حول الطاولة ، ليضمها بخفة وحنان ، بذراعين رفيقتين .

ـ لقد تعرّض نضوجك لضربة مؤلمة جوليا .

أحست جوليا بدوار وتعب من شدة المشاعر التي ثارت في داخلها عندما روت قصتها الصغيرة . . وبدا لها الآن أن هذا كله حدث لفتاة أخرى منذ زمن بعيد جداً :

ـ أتعلم بيرس . . كنت مخلوقة ذكية طائشة تطير بخفة في الحياة كالفراشة ، ثم بين ليلة وضحاها انتهت أيام الطفولة . وبدأت فجأة مرحلة جديدة لم يعد فيها باتريك ، أو أبي ، أو منزل يأويني . . ربما تفهم الآن شدة امتناني لليديا وهنري . أرادا أن أعيش معهما وأذهب إلى الجامعة ، ولكنني رفضت العيش عندهما فاستأجرت شقة تشاطرتها مع فتاتين أخريين وهذه الشقة هي التي أعيش فيها الآن . بيرس يكفي ما سردته من قصة حياتي ، ففي الخارج حفلة ولا شك في أن ليديا وهنري قد دفعا الجميع الآن للرقص ، لأنه بوجود الأطباء قد تمضي الأمسية في أحاديث طبية .

تنهدت قليلاً ، ثم عادت لتنظر إلى بيرس . . رد لها الابتسامة ، وانحنى يلثم وجنتيها بسرعة .

www.alkottob.com

- فلنذهب ولنقل لأختك كم تمتعنا بطهيها الرائع . . ثم نحاول التظاهر بأننا نغسل الصحون .

- حقاً . . بيرس . . أنا واثقة أنك لا تعرف شكل منشفة الصحون!

- سأثبت لك أنني خبير في ذلك . أتظنين أن بإمكاني عرض خدماتي على ليديا؟

- يا الله . . لا! فلديها جلاية كهربائية . هيا فلنعد إلى الواجبات الاجتماعية . واعلم أنك ستضطر لمراقصة سافرين وابنة الدكتور لارسون الشابة، التي كانت ترمقك وكأنها تدعوك، منذ قليل .

فتح لها الباب، يتمتم في مؤخرة عنقها :

- أقسم بحياتك أني لن أفعل! أتظنين أنني أخاطر بك لينتزعك مني ذلك الطبيب الشاب؟ لن أسمح لك بالابتعاد عن ناظري لحظة!

نادتهما ليديا ما إن برزا إلى القاعة .

- جوليا، اصطحبي بيرس لاحتساء القهوة . . ثم عودا للرقص .

هنأها بيرس بنعومة على جودة الطعام، فشكرته بعذوبة ونظرت إلى جوليا لحظة، ثم ابتعدت وعلى ملامحها الاطمئنان وسرعان ما انخرطت بين الهازجين على أنغام الموسيقى الصاخبة .

جرّ بيرس جوليا إلى وسط الراقصين فوجدت أنه يرقص بمهارة كما هو ماهر في كافة الأمور . وما هي إلا لحظات حتى تغيرت الأنغام إلى أنغام رومانسية هادئة، فوضع ذراعه حول خصرها وشدّها باليد الأخرى إلى صدره . . كانا لا يكادان يتحركان مع النغم فقد التصقا تقريباً واسترخيا بلين .

استسلمت جوليا للموسيقى يتبع جسمها خطواته وتحس بشفتيه على شعرها . . فجأة انتزعت من غفوتها فقد تسارعت النغمات وصدحت . وتركته يقودها بعيداً عن الراقصين إلى حيث كان هنري يوزع العصير . قال لها هنري مرحاً :

- مرحباً حبي . . أتريدين المزيد من العصير؟ وأنت هارتويل .

تقبل بيرس كوب أناناس مع الصودا، أما جوليا فقنعت بالوقوف مع رجلين يتحدثان عن توقعات فريق الكريكت الإنكليزي في جولته إلى

أوستراليا .

فجأة، أدركت أن بيرس يحدثها .

- أظن من الأفضل أن أذهب الآن جوليا . . فسأتناول الغداء غداً مع أمي وأبي . . ووعدتهما أن أمضي الصباح عندهما لأخبرهما عن رحلتي إلى لندن . وكما ترين أحتاج إلى النوم لأهيىء نفسي لمقابلة الرجل الكبير . .

كان هنري قد انطلق يبحث عن ليديا، أما جوليا فوقفت تنظر إلى بيرس حالمة .

- شكراً لقدومك .

- عليّ أنا أن أشكرك . ولكنني آسف على أمر واحد هو عدم قدرتي على إيصالك إلى منزلك، فهذا الجزء في آية سهرة هو الأفضل .

ابتسمت جوليا لكنها قالت بلهجة جافة :

- أظنني سأكتفي بهذا القدر أيضاً . فابنة شقيقتي ستوقظني فجراً وهؤلاء الجماعة مستعدون على ما يبدو للسهر ساعتين أخريين . وأنا نادراً ما أبقى ساهرة حتى نهاية مثل هذه الحفلات .

وصلت ليديا مع هنري تمد يدها، بابتسامة دافئة :

- سررنا بقدومك بيرس . . قم بزيارتنا ثانية فأهلاً بك متى شئت .

انحنى يلثم اليد الممدودة إليه، وقال :

- شكراً لكما لاستقبالي . في الواقع . . إن لم يكن لديكما مانع، أود المجيء لاصطحاب جوليا بعد ظهر الغد إلى منزلها .

نظرت جوليا إليه بدهشة : «بيرس لا داعي إلى ذلك» .

رد بحزم : «بل أود أن أفعل» .

ابتسمت ليديا :

- طبعاً بيرس . . وستتناول معنا الشاي قبل أن تنطلقا . . لم تتح لنا فرصة كبيرة للمسامرة الليلة . اسمع، يجب أن أعود للقيام بواجب الضيافة . هنري! يحتاج بعض الضيوف إلى شراب . أراك غداً بيرس، عليّ الذهاب الآن .

نظر إلى جوليا بعينين زرقاوين مقنعتين :

- رافقيني إلى السيارة جوليا .

www.alkottob.com

خرجا معاً دون أن يلحظهما أحد. . في الخارج كان القمر صغيراً والليل هادئاً وبارداً فارتجفت جوليا لأن الهواء البارد تسلل إلى جسمها عبر حرير فستانها الرقيق. فانتزع بيرس سترته الدافئة ولفها حولها، وهذا ما أشعرها بأنها بين ذراعيه. وفيما هما سائران في الحديقة طغى عليهما جمال الليل وسمعته يسألها:

ـ أتمانعين لو أتيت غداً؟

ـ لا. بل يعجبني عرضك الذي اقترحته وهو لطف منك.

وصلا إلى البورش، التي كانت تلمع تحت نور الشارع الضئيل. . واستند بيرس على مقدمتها:

ـ لا تحسني الظن بي كثيراً. . فأنا إنما أنفذ ما أريد.

تمتمت تحاول تغيير الموضوع: «ستبرد بدون السترة».

ـ أدفئيني إذن.

دس ذراعيه تحت سترته وشدها إليه وكأنهما ما زالا يرقصان. ثم استند إلى السيارة، يحملها قليلاً ففقدت التوازن واستندت إليه بدون مقاومة، وعندما كان يضمها بدفء وحنان تسارعت أنفاسها ولم يعد جسدها متوتراً بين ذراعيه. شدها إليه بقوة حتى بات من الصعب معرفة قلب من الخافق بشدة مضاعفة.

همس في أذنها: «اجلسي معي في السيارة قليلاً».

ردت هامسة: «لا».

ـ لماذا لا؟

ـ أستطيع أن أذكر عشرة أسباب. . مع أنني لا أستطيع التفكير في واحد الآن. في الواقع، لا أستطيع التفكير بوضوح الآن.

أخذت تضحك مرتجفة:

ـ بيرس. . كنت أكرهك كثيراً في الأسبوع الماضي لذا لا أرى أن من الإنصاف ما أشعر به فجأة.

قال بصوت أجش مرتجف: «فليذهب المنطق إلى الجحيم».

استقام ليوقفها منتصبة، وضع إصبعاً تحت ذقنها ورفع لها رأسها

www.alkottob.com

لتواجهه.

- فكري في ما ستشعرين به في الأسبوع المقبل! عودي الآن قبل أن يخترق البرد عظامك. واحتفظي بالسترة وغداً أستردها منك. توجهي مباشرة إلى النوم. ولا تتسلي مع أي طالب طب في طريقك.

- سأفكر في الأمر.. تصبح على خير.

صعد إلى سيارته، ملوحاً لها، ثم انطلق.. وعادت جوليا بسرعة إلى المنزل، فوجدت ليديا لتتمنى لها ليلة سعيدة.. ثم توجهت إلى غرفتها فوراً.

* * *

www.rewity.com
عيون الد
www.alkottob.com

www.alkottob.com

٥ ـ الفراشة والضوء

عندما استيقظت وجدت الشمس الساطعة تتدفق فوق سريرها، وترايسي واقف في الأسفل يحمل بكل حذر كوباً يتصاعد منه البخار، وينظر إليها منفعلاً:

ـ طلبت مامي ألا أوقظك ولكنها طلبت مني إن وجدتك مستيقظة أن أعطيك هذا.

قاومت جوليا النعاس وجلست لتتناول كوب القهوة شاكرة.

ـ شكراً ترايسي. أعتقد أنك أيقظتني فعلاً.. ولكن إذا كان أوان الفطور قد حان فلا بأس بهذا.

ضحك وجه ترايسي حتى برزت غمازتان:

ـ لقد تأخرت قليلاً يا خالتي. الساعة الحادية عشرة، وليس الوقت وقت الفطور. أراك فيما بعد!

خرجت جوليا بسرعة من السرير، وشهقت حين تأكدت أن الوقت فعلاً قد تجاوز الحادية عشرة. لقد نامت كالميتة فلم تشعر بالضيوف عندما غادروا المنزل كما لم تستيقظ على أصوات الأولاد. أسرعت إلى الحمام لتستحم بسرعة ثم ارتدت ملابسها في دقائق قليلة.. كانت معتادة على ترك بعض الثياب في منزل أختها، وسرعان ما ارتدت جينزاً عتيقاً وقميصاً صوفياً أزرق وأخضر، ثم انتعلت حذاءً خفيفاً وسرّحت شعرها بسرعة قبل أن تربطه.

كانت ليديا تخفق الزبدة لصنع قالب حلوى على طاولة المطبخ حين دخلت جوليا، وعلى وجهها عقدة الذنب.

ـ ليديا أنا آسفة! لم أتأخر في النوم من قبل.. لا أدري ما أصابني! لقد

غفوت عشر ساعات دون أن يرف لي جفن. أتريدين أن تأكلي شيئاً؟

ـ لا تقلقي! كنت بحاجة للنوم على ما يبدو.

ـ وقت الغداء قريب، شكراً. أين الجميع؟

ـ اصطحب هنري الصبيان إلى «تولمارستون وود» لبعض الوقت، أما كارول ففي قفص اللعب.. أتريدين المزيد من القهوة؟

ـ أجل.. أرجوك.. متى غادر الضيوف ليلة أمس؟

ـ أوه.. في الثانية.. كانت السهرة ناجحة. وأعتقد أنك تمتعت؟ هيا.. أخبريني.. هل كان بيرس كما توقعته؟ لم يسمح بأن تبتعدي عنه لحظة واحدة. من الواضح يا جوليا أنه لا ينوي اللف والدوران.

أسندت جوليا مرفقها إلى الطاولة، ونظرت إلى خارج نافذة المطبخ:

ـ كانت أمسية خيالية ليديا.. أخبرته كل شيء عن باتريك عندما كنا نأكل. هل أزعجك انسحابنا إلى مكتبة هنري؟

ـ لا.. يا سخيفة! بالطبع لم أنزعج.

ـ ما رأيك فيه؟

أبعدت القصعة وجلست، تحمل في كل يد كوب قهوة:

ـ بكلمة مختصرة، يا أختي الصغيرة.. واو! كادت المسكينة سافرين تنفجر إحباطاً، فقد وصل تقريباً حينما وصلت. فلم أستطع تجنب تقديمهما.. إنه ذكي جداً.. فبعد أكثر المجاملات الكلامية اختصاراً، ألمح بطريقة ما، ان عليه الانسحاب لسبب ضاغط. وحين تبين أن السبب الضاغط هو إبعادك عن بيتر لاين كادت عيناها تقفزان من محجريهما. إنه من الصنف الممتاز جوليا.. أواثقة أنك قادرة على التعامل معه؟

ـ التعامل مع ماذا؟ قبل أن تنمادي أكثر.. أجل، أظنني قادرة على التعامل معه. شكراً لك.

وقفت تتمطى:

ـ لقد نمت نوماً هنيئاً لم أذق مثله منذ سنوات. وهذا ما يعطيني الحماس لتقشير البطاطا فتاوليني السكين.

ـ لن أرفض عرضاً كهذا. آه.. ها قد بدأت كارول تبكي، سأتفقدها.

www.alkottob.com

جلست جوليا تنشر البطاطا بسرعة. وكانت قد حضرت الكرنب والقرنبيط لحين عادت ليديا تحمل كارول الصغيرة التي مدت ذراعيها فوراً لجوليا.

جلست جوليا بعدما وضعت الطفلة على ركبتيها أما ليديا فراحت تتم إعداد الغداء. جذبت رائحة الروستو الرائعة الكلبين، ولم تحظ ليديا بالراحة إلا بعد ما أطعمتهما.. عندما كانت جوليا تهم بالوقوف سألتها أختها:

ـ من أين حصلت على هذا القميص.. جوليا؟ ظننت أنني أرسلته إلى سوق الكنيسة الخيرية.

ـ كان في درج خزانتي. ارتديته لأنني لم أحمل معي سوى كنزتي الصوفية الصفراء وظننت أن هذا مناسب للألعاب التي سيقوم بها الأولاد بعد الغداء.

ـ لست بحاجة لملاعبتهم جوليا أنت لا تحتاجين إلى الدفع مقابل طعامك ومنامك.

ردت جوليا بسخط.

ـ لكنني أتمتع بملاعبتهم. على أي حال، بيرس لن يحضر قبل موعد الشاي وعندها سأرتدي شيئاً رزيناً.

وقفت تسير إلى النافذة وكارول على خصرها:

ـ هاي، حضري العصير والشراب. لقد وصل رجال البيت.

صاحت ليديا: «الرجال».

واقتحم المطبخ ثلاثة صبيان ملطخين بالوحل ولحقهم والدهم بخطوات متثاقلة. فأردفت صائحة:

ـ اخلعوا أحذيتكم جميعاً في الخارج، ثم توجهوا إلى الحمام للاغتسال ولتبديل الثياب.

صاح فيليب بأنفاس مقطوعة:

ـ كان الأمر رائعاً.. لقد تدحرجنا فوق التل..

قاطعه مايك:

ـ وكان هناك وحل لزج في الأسفل. وتقلبت وتقلبت وتقلبت فيه.

ردت الأم بحزن:

ـ وهذا ما أراه جيداً. وأين كان «دادي» في هذه الفترة من المرح الصاخب؟

قال ترايسي ضاحكاً:

ـ أوه.. كان يراقب الطيور بمنظاره.. فانشغل عنا لدقائق.

ربت له والده على رأسه، وأرسله مع الآخرين، ثم دس ذراعه حول خصر زوجته النحيل:

ـ آسف حبيبتي. لكن الطيور كانت رائعة. أؤكد لك أنني لم أنتبه للوحل.

ردت ليديا بغيظ:

ـ أنت.. كان عليك أن تحافظ على هندامهم نظيفاً.

لكن سرعان ما مات غيظها واحتجاجها عندما عانقها. فسألت جوليا تصنع البراءة:

ـ هل أحمل كارول إلى مكان آخر، أم أنكما قادران على الادعاء بأنني لست هنا، وتتابعان ما تريدان بغض النظر عن وجودي؟

ترك هنري زوجته على مضض، وتقدم إلى البراد ليصب العصير:

ـ كفى وقاحة يا فتاة.. أتريدان شراباً؟

نظرت ليديا إلى الساعة: «نعم إن أسرعت».

فيما كان هنري يقدم إلى جوليا شرابها لاحظ ما تلبس:

ـ أليس هذا قميصي الرياضي القديم؟ يبدو مختلفاً عليك.. ظننت أن أمره انتهى منذ سنوات.. اسمعي، لا أريد أن أبدو فظاً. ولكن، ألن يأتي هارتويل لاصطحابك بعد الظهر؟ ثيابك غير مناسبة لهذا اللقاء جوليا.

ـ أجل.. إنه قادم.. كما أن ثيابي غير مناسبة للقاء أي كان. ولكنه سيقلني إلى البيت فقط. وأعدك أن أرتدي ثيابي قبل هذا الوقت، مع أن لا حاجة بي إلى الأناقة.

قالت ليديا تواسيها:

ـ لا تهتمي له حبي.. خذي كوب عصير آخر ريثما تنضج الخضار.

www.alkottob.com

- لا . . لا أريد . . في الواقع أنا جائعة بعد النوم عشر ساعات .

قال هنري :

- في الواقع يا جوليا ، أظن أنك كنت تبالغين في العمل مؤخراً إلى درجة الإرهاق فكان أن أخذت الطبيعة مجراها ، وصرعتك . لكن النتيجة رائعة ، فأنت تبدين مشرقة هذا الصباح .

ردت ليديا ساخرة :

- يا له من تحليل طبي ! تعالي ، فلننه هذا الغداء . قطع شرائح اللحم هنري ، وأنت يا جوليا حضري مرق اللحم أما أنا فأتولى الباقي . سنتناول الغداء هنا اليوم ، لكي نسرع .

سرعان ما كان كل واحد منهم يستهلك كمية كبيرة من اللحم والخضار . . تبع هذا بعض الحلوى التي بقيت من الحفلة ، ورفضت ليديا عرض جوليا بالمساعدة في غسيل الصحون فيما بعد .

- لا حبيبتي ، إذا كان لا بد أن تلعبي مع الأولاد فليكن هذا الآن . قد تعانين من عسر هضم ، ولكن عليك أن ترتدي ثياباً محترمة في أسرع وقت ممكن . لأن هذا القميص ضيق جداً .

ضحكت جوليا ، ووضعت كارول في كرسي متحرك ثم أخرجتها إلى الحديقة لتشاهد إنجازات خالتها في لعبة كرة الركبي . . كان ترايسي يتعلم اللعبة في مدرسته الجديدة فراح يصدر بافتخار سلسلة من التعليمات . . «آوت» . . «باس» «اوف سايد» . أخيراً تحولت اللعبة إلى خليط غير مفهوم انتهى بارتماء الأربعة المشاركين فوق المرج . . وشهقت جوليا :

- ساعدوني لأقف يا أولاد . . لقد انتهيت . . يجب أن أحصل على تدريب صارم قبل أن أفكر في تأسيس فريق ما !

ولكن اليدين اللتين ساعدتاها كانتا أكبر وأقوى من أيادي أبناء أختها . جرها بيرس لتقف ، وأخذ يبتسم لها ، وصمت الأولاد بخجل على الفور . أحست جوليا بالشيء نفسه عندما التقت عيناها لمعان عينيه اللتين كانتا تطوفان عليها من رأسها إلى أخمص قدميها .

قال لها الصوت العميق المشبع بالضحك :

- لن تنجحي أبداً في مركز الهجوم جوليا . . من الأفضل أن تجربي مركز الجناح .

ضحكت جوليا بخشونة ، تحاول عبثاً تمليس شعرها :

- مرحباً بيرس ، بكرت في المجيء . ستختفي ليديا . كان عليّ أن أغيّر ثيابي وأنظف نفسي قبل أن تأتي . . صافحوا السيد هارتويل يا أولاد . . بيرس . . هذا ترايسي ، فيليب ، ومايك . .

صافح بيرس كلاً منهم بطريقة رسمية . وقال :

- ما رأيكم لو أكون بديلاً عن خالتكم التي تود تبديل ملابسها ؟ كنت أعتبر جناحاً مفيداً في المدرسة . . وربما استطعت أن أعلمكم شيئاً جديداً .

استقبل عرضه بحماس ، لكن جوليا نظرت بريبة إلى ملابسه . . كان يرتدي جينز أو كنزة ذات ياقة مثلثة وتحت الكنزة قميص أبيض . .

سألت «ألن تتسخ ؟» .

- معقول . . لكن لا تقلقي ، يمكننا غسل ما يتسخ . اذهبي الآن واتركينا نهتم بالأمور المهمة للذكور .

صفعها على كتفها ، ثم انخرط بسرعة بين الفريق .

هرعت جوليا إلى المنزل ، فالتقت ليديا التي كانت تهم بالخروج من المطبخ .

- وصل بيرس ، والأفضل أن أغيّر ملابسي .

تأوهت ليديا :

- هل رآك على هذه الحال ؟ . . أين تركته ؟

- لم أتركه في أي مكان ، إنه يعلم الصبيان أصول لعبة الركبي فوق المرج ! ليديا ، هل لي أن أقترض منك وشاحاً ؟

- فتشي في درج خزانة ملابسي ، يجب أن أجد هنري بسرعة لأطلب منه استدعاء وحوشه .

عدت جوليا إلى غرفة شقيقتها فوجدت الوشاح الأسود الذي تريده ، ثم عادت إلى غرفتها لتستبدل الجينز والقميص ، بسروال من الكتان الأسود وكنزة صفراء ثم بعد ذلك طفقت ترتب شعرها ، فكت ضفيرتها بسرعة

www.alkottob.com

فائقة، وسرحتها ثم عادت فربطت الشعر الكثيف على مؤخرة العنق بالوشاح الأسود، الذي تركت أطرافه تختلط بشعرها. ثم زينت عينيها بالكحل وثغرها بأحمر شفاه ولم تلبث أن هرعت إلى السلم فوجدت الرياضيين قد دخلوا، واستقروا في غرفة الجلوس. الرجلان واقفان، والصبيان يصغون إلى مختلف وسائل اللعب. كانت ليديا جالسة وعلى ركبتها كارول التي تحاول فهم شيء من النقاش الدائر.

ابتعد بيرس عن المجموعة حالما دخلت جوليا إلى الغرفة وجلس إلى جانبها على الأريكة. . سرعان ما خرج الصبيان إلى اللعب ثانية، أما الكبار فانخرطوا في تبادل أطراف الحديث حتى نامت الطفلة على كتف أمها فناولتها لوالدها وخرجت مع جوليا لتحضير صينية الشاي.

بعد التمتع بسندويشات اللحم، وحلوى الفاكهة الغنية، والتوست، ودّعت جوليا وبيرس ليديا وهنري والأولاد، وسرعان ما كانا في البورش، ينطلقان بسرعة إلى الريف. . .

قاد بيرس السيارة بصمت فترة ثم قال:

- جو الهناء الذي تعيشه عائلة أختك مؤثر جداً وهو كاف ليغير رأي أقسى الساخرين في الحياة.

- حياتهم رائعة لأن الوالدين يقومان بالتزاماتهما. أنت تدرك بأن ليديا تعتبر وظيفة الزوجة والأم مهمة لها كمهنة هنري.

- من الواضح أنها تتمتع بما تفعل ولكن رغم قصر معرفتي بهما، لاحظت شيئاً آخر أجده غريباً. . وهو المقوم الرئيسي لزواجهما كما أعتقد.

نظرت إليه جوليا باهتمام: «آه، وما هو؟».

- هنري يحب زوجته كثيراً رغم مضي سنوات على زواجهما. وأظنها كذلك تحبه. . وهذا بالضبط ما يشيع جو الدفء.

- أظنك على حق. أما أنا فكنت أنظر إلى حياتهما وكأنها من المسلمات فهما كانا دائماً على هذه الحال. مع أنني لست غبية لأؤمن أن كل الزيجات كزيجتهما.

- هذا صحيح. . فأنا آمنت مرة بكل صدق بأنني قد أحقق نجاحاً كهذا.

لا شك أنك سمعت بالأمر.

- قيل لي إنك خطبت امرأة تزوجت سواك.

- من أعطاك المعلومات أغفل واقع. . أنها أخبرتني بأن كل شيء انتهى بيننا قبل أسبوع على مراسم الزفاف. . فقد وجدت صيداً ثميناً أفضل مني بكثير.

استقرت عينا جوليا على أنوار المدينة.

- لا. . لم أكن أعرف هذا. لا شك في أنها كانت تجربة مرة.

ضحك بيرس بلا اهتمام:

- في الواقع، بعدما أمعنت التفكير أدركت أنني كنت محظوظاً لأنني تخلصت منها. كنت يومذاك أصغر سناً، وكنت آمل أن أكون قد نضجت في هذه الفترة. ولكنني حين التقيتها أخر مرة في إحدى المناسبات وجدتها على حالها شعر أشعث وضحكة عابثة.

صمتت جوليا، تحاول تصور بيرس عندما كان أصغر سناً وأقل قسوة فابتسمت للصورة المماثلة التي تراءت لها، فنظر إليها بيرس وقد رفع حاجبيه:

- ما الذي يضحكك جوليا؟

- أضحكتني صورتك وأنت مرفوض من امرأة، مهما كانت فاتنة. . ولديّ انطباع بأن ظنك سيء ببنات جنسي عامة.

ناور ليدخل «كلارنس»، ثم قال:

- ثمة تعويضات كثيرة. . فلدى هذا الصنف من النساء عروضاً كثيرة ولكن فكرة الارتباط بإحداهن هي ما تقزز الروح.

ردت جوليا بخفة، تجمع أغراضها عندما اتخذ المنعطف المفضي إلى منزلها:

- تعوزك اللباقة ولكنك صادق.

أمسك بيرس ذراعها:

- لا تذهبي بسرعة جوليا. أملت أن ترافقيني إلى العشاء. ثمة أشياء كثيرة أريد بحثها بشأن العقد البرازيلي.

نظرت إليه بثبات:

www.alkottob.com

- مساء الأحد بيرس؟ ألا يمكن أن ينتظر الأمر حتى الصباح؟

- لا.

- حسنا.. بصراحة، بعد غداء ليديا الدسم، إضافة إلى ما تناولناه وقت الشاي، لا أظنني بحاجة إلى طعام آخر اليوم.. ربما نتوصل إلى اتفاق.

- ماذا تقترحين؟

ترددت قليلاً، ثم رمت الحذر أدراج الرياح.

- يمكنك الصعود معي إذا شئت.. سأعدّ ما تشربه، وفيما بعد أحضر البيض المقلي وبعض السلطة.. أتعجبك الفكرة؟

لمعت عينا بيرس وهو يميل إليها:

- جداً! أتوافق صاحبة المنزل على زائرين من الرجال؟

- لا أدري.. لم أتباحث معها هذا الموضوع من قبل.

رفع يدها يقبلها معتذراً.

- سامحيني.. نسيت أن لك قواعد أخرى في الحياة.. هل ستصبرين عليّ؟

- صبرت عليك في الأسابيع الثلاثة الماضية، ولا أرى ما يجعلني لا أصبر الآن.

فتحت الباب وخرجت، فلحق بها بيرس حاملاً حقيبتها، وعلبة كرتونية. حين وصلا إلى المدخل، لاحظت أن الظلام يعمّ المنزل. فأعطته المفتاح قائلة:

- يبدو أن السيدة هيكنز في الكنيسة.

وفي الشقة، نظر بيرس حوله بإعجاب إلى غرفة الجلوس البسيطة.. كانت جوليا تغطي الكراسي والصوفا بقماش خشن بني اللون، يتناقض مع سجادة السيدة هيكنز الذهبية. كان أحد الجدران مكتظاً بالكتب، وبشرائط التسجيل وكان هناك آلة تسجيل متوسطة الحجم.. قال وهو يتأمل الكتب ويقرأ عناوينها:

- إذن، هذا هو معقلك. هل وضعت أثاثه بنفسك؟

- ليس في الأساس.. ولكنني وصاحبة المنزل، توصلنا إلى تفاهم: هي

تهتم بالدهان وتؤمن السجاد والأثاث. وأنا أفعل ما أشاء بالستائر والأغطية، وما إلى ذلك، ثم في الصيف، أساعدها في الحديقة مساء.. وإذا كان هناك ما يكفي من شمس، أجلس في الحديقة لأتمتع بأشعتها أحياناً.

- أتحبين الشمس؟

- أحبها وأنا أكتسب اللون الأسمر بسرعة. تصرّف وكأنك في بيتك. يجب أن أنزل إلى المطبخ لأرى إن كان لدى السيدة هيكنز حليب.

نزلت جوليا بسرعة فأضاءت الأنوار قبل أن تدلف إلى المطبخ لتأخذ قنينة حليب من البراد، وعندما كانت تغلق باب البراد لاحظت رسالة ملصقة عليه:

«ذهبت أزور شقيقتي حتى يوم الاثنين، جوليا خذي ما تحتاجين إليه».

ركضت جوليا عائدة إلى شقتها فوجدت بيرس يفتش بين شرائط التسجيل.. التفت إليها مبتسماً. كان طوله ورجولته، يسيطران على غرفة جلوسها الصغيرة:

- كل شيء مرتب ترتيباً هجائياً.. مثلك مثل «المثال» الصغير الذي أنت هو.. هل لي أن أستخدم شيئاً؟

- تفضل.

دخلت جوليا إلى مطبخها تحمل الحليب وعليه الكرتونة التي أعطتها إياها ليديا. كانت تحتوي على مختارات من اللذائذ، بينها علبة بلاستيكية فيها سلطة جاهزة ورغيف أسمر خشن وبعض الجبن والفاكهة.. ابتسمت لما شاهدته ونادت:

- بيرس.. ماذا تريد أن تشرب؟

انضم بيرس إليها في المطبخ.

- أريد القهوة بدون سكر أو كريما.. وأنت؟

- أريد القهوة مع الحليب. هل لك أن تفتح الزجاجة أرجوك؟

عادا إلى غرفة الجلوس. بيرس يحمل صينية القهوة وجوليا تشعل مدفأة الغاز. بعدما أشعلتها تكورت إلى جانبها، مسندة ظهرها إلى أحد المقاعد، وأشارت لبيرس أن يجلس على الأريكة ثم قالت:

www.alkottob.com

ـ ما هي المسألة الملحة التي تريد مناقشتها بيرس؟

مدد ساقيه أمامه باسترخاء، ونظر إليها:

ـ سأسافر إلى البرازيل بعد أسبوعين.. عقد إنشاء الفندق الذي آمل أن أعقده تابع لشركة، نصفها فرنسي ونصفها برازيلي. لديهم فندق في «كوباكوبانا» ويرغبون في بناء آخر في «لاغوا آزول» وهو مكان يبعد قليلاً عن الساحل. سأمكث هناك بضعة أيام للقيام بمحادثات مع غاستون تريدان، وهو أهم رجل في الشركة، ومع فرناندو سانتوس ومع سيبرو ماريتينز البرازيليين. أريد منك أن ترافقيني، فوالدي يؤكد لي أن لغتك البرتغالية ممتازة.. طبعاً! وسيمتن فرناندو سانتوس العجوز لهذا، فإنكليزيته سيئة. من الواضح أن من المهم توضيح كافة جوانب الاتفاق، وهنا يأتي دورك فعليك الجلوس لتسجيل جميع النقاشات ولمساعدتي في الجانب الترفيهي.

مال بيرس إلى الأمام، حين لم تتفوه جوليا بكلمة:

ـ حسناً جوليا.. ما قولك؟

ـ يا الله، بيرس.. لماذا تطرح السؤال مرتين؟ لم أتخط حدود البرتغال الذي لم أجد صعوبة في اتقان لغته ولكنني حتى في أكثر أحلامي جنوناً لم أتخيل سفري إلى البرازيل.

قفزت واقفة فجأة وهي غير قادرة على البقاء في مكانها:

ـ متى سنذهب؟

وقف معها مبتسماً بوجهها المشرق بالإثارة:

ـ الأسبوع القادم، نهار الثلاثاء. هل تحملين جواز سفر صالح؟

هزت رأسها إيجاباً.

ـ عظيم.. سنمكث هناك أربعة أو خمسة أيام، فهذا وقف على سير الأمور. أنا أعرف غاستون تريدان وزوجته سوزيت اللذين يملكان شقة في «إيباتيما».

تنهدت جوليا جذلاً.

ـ أهذا اسم مكان حقاً؟ ظننته اسم أغنية فقط. هل الطقس حار هناك في مثل هذا الوقت من السنة؟ ماذا أحمل من الملابس؟

www.alkottob.com

ـ يبدأ الحر في شهر تشرين الثاني. تحتاجين إلى فساتين قطنية في النهار، وإلى ما هو رائع كفستان الأمس للسهرات وإلى ثوب سباحة.. سنقيم في «أوروبرانو» في «كوباكابانا» وهو فندق أصحابه فرنسيون، لهم علاقة مع غاستون. بإمكانك الخروج من الفندق بثياب السباحة، وعبر «أفانيدا أتلانتيكا» تجدين الشاطىء مباشرة..

كانت عينا جوليا مشرقتين بالترقب ثم تذكرت واجبات الضيافة:

ـ رافقني إلى المطبخ بيرس.. سنتحدث وأنا أعد بعض الطعام.

لحق بها قائلاً: «هل أستطيع تقديم المساعدة؟».

ـ لا.. شكراً لك.. المكان ضيق نسبياً بالنسبة لشخص مثلك. سلّيني فقط وأنا أحضر الطعام، أتحب القريدس؟

ـ أجل.. على فكرة.. ماذا قالت صاحبة المنزل عن ضيف ذكر يتعشى معك؟

ركزت جوليا على فتح علبة قريدس مبقية نظرها إلى الأسفل:

ـ لا شيء.. إنها غائبة. هي في منزل أختها لقضاء عطلة الأسبوع. تركت لي رسالة على باب البراد.

ساد صمت قصير.. فرفعت نظرها إليه فإذا هو يحدّق إليها، وارتسمت ابتسامة صغيرة على فمه. استند إلى ظهر كرسي المطبخ متوازناً وسأل:

ـ أكنت دعوتني لو عرفت أنها غير موجودة؟

نكرت جوليا لحظات:

ـ على الأرجح.. لا. ولكن بما أنك هنا، فلا بأس ببقائك. خاصة بعد رميك فخ رحلة البرازيل..

صمتت وقد أصبح لونها قرمزياً، ورمى بيرس رأسه إلى الوراء مقهقهاً.

ـ حبيبتي.. لا أظن أن عرض السفر في إجازة عمل حتى إلى البرازيل سبب في أن أكسب الإذن بمغازلتك.. صحيح؟

ردت بحدة: «لا..».

تابعت عملها بسرعة، وسرعان ما كان القريدس مغمساً بالزبدة وممزوجاً بالطماطم والبصل بعد ذلك راحت تقطع الخبز الأسمر، وتنقل

السلطة إلى القصعة، وأعطت بيرس أدوات المائدة والصحون.

ـ حضّر الطاولة ريثما أخفق البيض.. أتعترض إن أكلنا هنا؟

ـ أبداً.. كنت أفكر في منظر هذا البيت ودفئه.

رفعت خصلة من شعرها عن جبينها مبتسمة ثم راحت تملأ إبريق الشاي وتضعه على النار..

ـ كن حذراً.. لا تفكر في أمور كهذه... التفكير بعائلة وأولاد قد يصيبك بعسر هضم!

راقبها بيرس بسعادة ظاهرة وهي تسكب البيض فوق الزبدة. كانت تحركه بحذر وهي تضع لسانها بين أسنانها من شدة التركيز. ثم سكبت المزيج في صحن وأضافت مزيداً من الزبدة، وصبت ما تبقى من البيض.. ما هي إلا لحظات حتى كان طبق البيض المخفوق جاهزاً ومزيج القريدس موزعاً بين الطبقين. ساد صمت مطبق بينهما وهما ينكبان على الطعام بحماس.

قال بيرس وفمه ملآن:

ـ أنت سيدة متعددة المواهب.. سكرتيرة كاملة وطاهية ممتازة وخالة محبوبة، وامرأة أنيقة ولكن لا شك في أن عندك ثغرة ما.

وضعت جوليا الزبدة على قطعة الخبز مفكرة:

ـ أجد صعوبة في إنشاء صداقات جديدة، على ما أعتقد. فأنا لا أميل إلى العلاقات العابرة.

جعلتها ابتسامته الدافئة لا تطمئن بالاً:

ـ أنا لا أطلب منك علاقة عابرة جوليا.

سارعت تتناول طبقه الفارغ:

ـ طبعاً.. فأنت رب عملي، وهذا أمر مختلف. أتحب بعض الجبن؟

ـ أجل.. شكراً لك.. من دون بسكويت، سآكل المزيد من هذا الخبز.. لقد كان طبق البيض رائعاً. أهنئك.

أحنت رأسها شاكرة ثم قدمت إليه الجبن:

ـ هل أصب لك الآن الشاي، أم بعد انتهاء الطعام؟

ـ بعد غسل الصحون. وأنا أصرّ على هذا.. فلنتناول الشاي في الغرفة الأخرى.

رفض كل احتجاجاتها، وما هي إلا فترة قصيرة حتى كان المطبخ في أفضل حال، وجلسا معاً على الأريكة يحتسيان الشاي. ويتناولان بالتفصيل رحلة البرازيل.

ـ من سيتولى عملي الروتيني أثناء غيابي؟

ـ أوليفيا جيتي. مع مساعدة مؤقتة إذا لزم الأمر. وإن شعرت بأن عليها أن تترك شيئاً ما لك، فلتتركه حتى تعود.. فلن تدوم غيبتنا سوى أسبوع.

صب لها وله المزيد من الشاي. ثم اقترب منها ووضع ذراعه حولها وهما يحتسيان الشاي. أحست جوليا بالتشنج في البدء ولكنها لم تلبث أن استرخت. وعندها رفع فنجانه من يده، وجرّها إلى الخلف، ليسندها إليه بحزم.

ـ هكذا يا فتاتي الطيبة!

كان لصوته العميق المداعب تأثير مقلق، فقالت بصوت مخنوق:

ـ هذا ما أنوي أن أكون عليه.

اشتدت ذراعه حول قدها:

ـ يا فتاتي الحبيبة.. لا أدري ما هي القصص التي سمعتيها عني، ولكنك تبتعدين عني وكأنني معتاد على الإغواء والاعتداء.

ضحكت جوليا غصباً: «وهل نطلق على الاعتداء صفة «عادة»؟»

ـ قد يكون الإغواء عادة جوليا أما الاعتداء فلا. صحيح؟ تعالي، يا مثالي الصغير، وواجهي الواقع.. بيننا تيار ممتز وُلد منذ أن وقعت عيناي عليك.. هل ستنكرين هذا؟

هزت رأسها ببطء وعيناه ما تزالان تأسران عينيها، ثم انخفض جفناها حالما انحنى إليها يعانقها.. لم تع اليد التي امتدت لتفك شعرها من عقاله ولم تشعر إلا بأصابع تعبث بشعرها الذي انسدل كستارة حريرية. وعندما ضمها إلى ذراعيه لم تعترض أقل اعتراض. ازداد ضغط يديه حتى استرخت وازدادت دقات قلبها سرعة لتماثل سرعة دقات قلبه.. ثم سحبت نفساً

www.alkottob.com

عميقاً مزجه البهجة والخوف.

في غمرة الذعر والسعادة لم تلاحظ أنها تنزلق وتنزلق حتى أحست بالذعر لأنها أصبحت مستلقية على الأريكة.. انتزعت ذراعيها منه وقاومته بذعر تدفعه عنها في محاولة لإخفاء وجنتيها الملتهبتين خلف شعرها...

فهمس لها:

ـ أنا آسف.. آسف.. لا تنزعجي بالله عليك!... أمجرد لمسك إهانة لك يا جوليا؟ إن كنت تجدينني كريهاً، فقولي هذا.

ردت بصوت أجش وهي تنسحب بعيداً، تدفع شعرها إلى الوراء:

ـ هذه ليست المشكلة أبداً.. بل العكس.. بيرس، أنا خائفة.

ـ يا إلهي!.. مني؟

ردت بيأس:

ـ لا.. لا.. بل من نفسي! أنا أخاف من كل جنوح له علاقة بالعاطفة.

بيرس.. أرجوك.. لا تظنني غير متعقلة.. أتنزعج إن طلبت منك الذهاب الآن؟ لا تظنني باردة متحفظة.. كل المسألة أنني مضطرة لتعويد نفسي على هذا تدريجياً، ولا شك في أنك تخالني بلهاء!

وقف بشدها لتقف معه ثم ضمها إليه.

ـ إنه إحساس لا يمكنك مقاومته إلى الأبد جوليا.. خارج برجك العاجي أمور كثيرة تجري. أظن أنّ الوقت قد حان لانضمامك من جديد إلى بقية الناس في العالم الخارجي..

ردت بحزن، تدفعه عنها بلطف.

ـ أنت أسوأ من هنري.. يقول إنني أملك مظهر الأمير النائمة. أترى مدى جموح خياله؟

ابتسم لها:

ـ بل إنه محق.. وأنا أفهم ما يعنيه. حان وقت النوم أميرتي.. ستنامين بمفردك، قبل أن تبدئي بالتفوه بشكوكك.. أراك في الصباح.

رافقته جوليا إلى منبسط الدرج، وقال لها:

ـ شكراً للعشاء، سأتأكد من إقفال الباب في الأسفل.. جوليا؟

ـ نعم بيرس؟

ـ ألا أستحق عناقاً قبل أن أقول تصبحين على خير؟

رفعت رأسها مطيعة.

ـ لا جوليا.. أريدك أنت أن تعانقيني.

فعلت نظرة عينيه أشياء غريبة في داخلها. ولكنها وقفت على أطراف أصابعها وعقدت ذراعيها حول عنقه تعانقه بحرارة. فوقف جامداً لحظات يتلقى ضغط عناقها الخجول ولكنه لم يلبث أن أطبق ذراعيه حولها بشوق وتركها مقطوعة الأنفاس فترة طويلة بعد رحيله.

عادت إلى المطبخ في حالة ذهول، تحضر القهوة ثم سكبت القهوة في فنجان وحملته إلى غرفة الجلوس لتسترخي فوق الأريكة، تحدق بشرود إلى ألسنة نيران مدفأة الغاز الاصطناعية. تلاشى تدريجياً الوهج، وعادت الشكوك إلى رأسها كالضباب.

فكرت في نفسها ساخرة تتساءل عما إذا كانت ستعود الشخص الذي عرفته سابقاً.. وقفت فجأة بنفاذ صبر مقررة الاستحمام. كان للماء الساخن على بشرتها التأثير المهدىء المطلوب، أخيراً جففت نفسها، وجلست أمام طاولة الزينة تمشط شعرها الطويل.

الفتاة التي طالعتها في المرآة.. كانت غريبة كل الغرابة. فقد اختفى قناع التحفظ الذي اعتادت عليه وبغياب هذا القناع ظهر وجهها نشيطاً مشرقاً، في عينيه السوداوين الوامضتين تعبير غير مألوف لصاحبتهما. كانت تحس وكأنها فراشة تنطلق من شرنقتها.. هذا الإحساس الغامر الخطير أعاد إليها وساوسها من جديد. في خضم سعادتها الغامرة التي شعرت بها حين دعاها للسفر إلى الريو نسيت أن تمعن النظر في ما يمكن أن يتوقعه منها. ربما يتصور أنها وافقت على أكثر بكثير من العمل. ربما كان معتاداً على سكرتيرات مستعدات لنشاطات أخرى، هي غير مستعدة للقبول بها. ربما.. ربما من الأفضل لك الانتظار حتى يطلب منك أيتها البلهاء الحمقاء الكثيرة الشكوك. هذا ما صاحت به بصوت مرتفع ساخط قبل أن تجلب غلالة ثوبها فوق رأسها بنفاذ صبر.

www.alkottob.com

بالله عليك، إنه لا يطلب سوى سكرتيرة ماهرة تتقن اللغة البرتغالية، فتوقفي عن التصرف وكأنك بطلة رواية ميلودرامية تعود إلى العصر الفيكتوري.. قد لا تسنح لك فرصة مماثلة مرة أخرى.

بعد ما درست حالتها النفسية شعرت بأنها أفضل حالاً فأطفأت النار والنور واستقرت في الفراش. ولكن جسمها رفض الراحة وراح الشك يتغلغل إلى عقلها. فجأة مزّق سكون الليل رنين الهاتف فأراحها ذلك فجلست مستقيمة وأضاءت مصباح السرير ثم رفعت سماعة الهاتف القريب منها فتناهى إليها صوت بيرس المطمئن:

ـ هذا أنا.

ردت بحدة:

ـ شكراً لله على هذا. لقد أفزعتني.. الساعة تقارب الحادية عشرة.

ـ أعرف، غير أنه انتابني إحساس بأن الوساوس تساورك بشأن رحلة الربو.

نظرت جوليا إلى السماعة باستغراب، تشعر بما شعر به علاء الدين حين خرج المارد من المصباح.

ـ أجل.. بالفعل، وكيف عرفت؟

ـ أوه.. أعرف! كان عليّ في البدء أن أوضح أن ليس للدعوة مآرب أخرى.

ساد صمت قصير مشحون، وردت جوليا:

ـ أنا.. لست واثقة مما تعني.

ـ بلى، تعرفين.. سأقول بصراحة: لا أتوقع منك إلا العمل ولا أطلب منك إلا خبرتك ومساعدتك لي في اللغة. ولا أنسى سعادتي التي لن توصف لوجودك برفقتي في الأمسيات. أما ما عدا هذا فلا شيء. هل قولي واضح؟ أم تريدين التوضيح كتابة؟

ابتسمت جوليا حالمة، تنظر إلى السقف وتتمطى بكسل تحت الأغطية:

ـ كلمتك تكفيني بيرس. شكراً لك، وسأكون صريحة صادقة، وأعترف بأنني شعرت بتردد كبير.

ـ هذا ما ظننته، الآن نامي بسلام.. نسيت أن أقول لك «تصبحين على خير» ساعة خرجت يا أميرتي.. أحلام سعيدة.

ـ تصبح على خير بيرس وأشكرك لأنك أوصلتني إلى المنزل.

ـ أرجو ألا أكون دقيقاً إن قلت إنني وحدي من شعر بالسعادة. جوليا «تشاو».

وضعت جوليا السماعة من يدها وحدقت بسعادة طافحة إلى الظلام واستسلمت لنوم شعرت أثناءه بأنها تطفو فوق غمامة وردية.

* * *

www.rewity.com
عيون المها
www.alkottob.com

٦ ـ لا وقت للنوم

بعد عشرة أيام، كانت جوليا تجلس متوترة في مقعد طائرة «ترانس اطلانتيك» أما بيرس فغرق في النوم قربها، ابتسمت لنفسها وهي تنظر إلى وجهه الحازم حتى في رقاده. ما كانت لترى هذا لو حذت حذوه فنامت، ولكنها أكثر من منفعلة فكيف تنام والريو دوجانيرو على مسافة قريبة.

كانت الأيام القليلة الماضية تعج بالعمل الشاق الذي كان الهدف منه ترك الأمور منظمة قدر الإمكان بين يدي أوليفيا. استرخت جوليا تفكر بمرح في وجه ليديا عندما أطلعتها على خبر الرحلة. لقد تلقت منها صيحة إثارة وكان أن نزلت عليها الأسئلة كالمطر منها ومن زوجها ثم أعقب الأسئلة القيام بجولة تسوق مع ليديا نهاراً أما مساءً فشاركت بيرس العشاء إنما هذه المرة في مطعم فاخر. وفي اليوم التالي سافر بيرس إلى لندن لإنهاء بعض الأعمال قبل السفر. صعب عليها أن تصدق أنهما يحلقان الآن فوق المحيط الأطلسي، وأنهما بعد وقت قصير سيشاهدان خليج «غواناباربا» قبل أن تحط الطائرة على مطار «غاليو».

كان بيرس قد حذرها من الإحباط لأن هذا المنظر غالباً ما يستره ويخفيه الضباب الصباحي. وقد شعرت جوليا بخيبة الأمل لأنها وجدت أن ريودوجانيرو ليست مشرقة دائماً بل هي غالباً ما تكون رطبة.

تحرك في مرقده قربها، متمطياً متثائباً ثم سألها:

ـ ألا يمكنك النوم قليلاً جوليا؟ ستعانين من تأثير السفر حين ننزل.

ابتسمت معتذرة:

ـ لا أستطيع، أحس بالتوتر. وهذا تصرف غير ناضج مني..

ـ المرطبات.. ها هي المضيفة قادمة.. أتريدين القهوة أم العصير؟

ـ القهوة أرجوك، فأنا أحس بالتوتر والإثارة.

بعد القهوة، دخلت جوليا إلى حمام الطائرة لتنعش نفسها استعداداً للهبوط. كان وجهها يبرق بالترقب وهي تتلمس زينتها في المرآة. ثم ملست شعرها بحزم في ربطته ورشت بعض العطر على عنقها ومعصميها قبل العودة إلى بيرس.

فيما كانت تهم بالجلوس لمعت أضواء التحذير وراح الجميع يربطون أحزمتهم وتقلصت عضلات معدة جوليا ولكنها ابتسمت لبيرس، ثم التفتت تحدق إلى الفضاء الخارجي لتتأمل الطائرة في هبوطها.

ـ بيرس، أنا محظوظة لأن الضباب متوار فالسماء زرقاء صافية، والمياه تبرق تحت أشعة الشمس.

أمسك بيدها، يتمتع بمظاهر السعادة والترقب التي كانت تطوف على وجهها.. وسألها:

ـ هل استطعت رؤية «الكوركوفادو».

ـ وما هذا؟ آه، انظر إلى هذه الجزر الصغيرة إنها كجواهر في البحر.. بيرس هل هذا الجبل هو «كوركوفادو»؟.

مال إليها تتعقب نظرته إشارة يدها.

كانت قمة «كوركوفادو» المرتفعة تلمع تحت أشعة شمس الصباح، يعلوها تمثال السيد المسيح الكبير، المسمى «ريد مبتور» أي المخلص..

التفتت جوليا إلى بيرس بوجه أبيض وعينين براقتين.

ـ إنه جميل بشكل لا يصدق! كيف لي أن أشكرك على هذه الرحلة؟

ـ لا تستعجلي! ستجدين وسيلة، والآن ماذا؟

كانت عيناها قد اتسعتا عندما نظرتا إلى المياه الزرقاء.

ـ بيرس.. وكأننا سنحط في البحر!

ـ ليس تماماً فالمطاران الداخلي منهما والعالمي يقعان على حافة المياه.. هاك.. أترين، افتحي عينيك الآن، فالإطارات بدأت تلامس الأرض.

عندما كانا يغادران ابتسمت المضيفة الرائعة الجمال لبيرس فصدمت

www.alkottob.com

جوليا ونظرت إلى بيرس وإلى بذلته الخفيفة فقارنتها مع فستانها العاجي اللون وشعرت بأنه يعاني من الحر أكثر منها.

ـ الحرارة مرتفعة بيرس.. ثم ما هذه الرائحة وكأنها مزيج بين العطر وبين دخان السيكار..

ـ إنها ليست سيكار بل رائحة السكائر هنا.. والرجال يستخدمون هنا العطر أكثر من النساء، بسبب الطقس.

اجتازا الجمارك بسرعة ثم انطلقا إلى الخارج والحمال يجرّ لهما عربة الحقائب. كانت جوليا تنظر حولها بشوق وانفعال وتحاول استيعاب التفاصيل المتعلقة بالناس حولها. كانت ترى السيدات الأنيقات المعتدات بأنفسهن، يرتدين ثياباً براقة أما من لا يملكن من الغنى حظوة فقد كن يرتدين الأسود، ورأت العديد من الرجال المرتدين البذلات البيضاء والسواح المرتدين الملابس المبهرجة، من السهل التعرف عليهم لوفرة الكاميرات المعلقة في أعناقهم.. وكان هناك الراهبات المتعذر اجتنابهن والفتيات الشابات الفاتنات بدون استثناء.

ـ بيرس.. انظر إلى هؤلاء الراهبات، إنهن جميعهن يشبهن ملكات جمال العالم!

ـ إنهن كذلك في هذا العمر فقط.. وهن يملن إلى زيادة الوزن متى تزوجن وبدأن بإنجاب أعداد كبيرة من الأولاد. آه.. أخيراً.. هذا هو غاستون وهو متأخر كعادته.

كان رجل أسمر نحيل يشق طريقه بين الجموع، وعلى وجهه ابتسامة عريضة.. عانق بيرس، ولكن عينيه السوداوين استقرتا على جوليا، وكان ملؤهما تعبير مبالغ فيه:

ـ بيرس.. «بين قُتي»، من الواضح أنك على ما يرام. لقد جعلتني أعتقد أن هذه السيدة سكرتيرتك؟ من أين لك هذا الحظ الرائع الذي جعلك تجد امرأة مثلها؟

ـ إنها إرث من أبي.. جوليا، هل لي أن أقدم إليك غاستون تريدان.. غاستون هذه جوليا دراغونر.

ـ أنشانتيه مدموزيل..

رفع الفرنسي الأنيق يدها إلى شفتيه، وعيناه السوداوان تومضان إعجاباً. ردت برباطة جأش رافقها قليل من التورد:

ـ كيف حالك سيد تريدان؟

قال بيرس وهو يرنو إليها عامداً متعمداً:

ـ في الواقع.. ثمة تفصيل بسيط أيها الصديق العجوز.. إنها السيدة دراغونر.

هزّ غاستون كتفيه متأثراً:

ـ وكيف لا تكون سيدة، إلا إذا كان الإنكليز عميان!

أمسك مرفق جوليا، يقودها بعناية بين الناس وصولاً إلى المخرج وكان يلحق بهما بيرس والحمّال الذي يجر الحقائب..

رأت جوليا أن من واجبها إيضاح الأمور:

ـ أنا أرملة سيد تريدان.

تسمّر في مكانه وكان توقفه سبباً في توقف الجميع فجأة.. نظر إليها باستغراب وعدم تصديق:

ـ صغيرة مثلك.. وأرملة؟ يوقربوتيت!

بدا بيرس متوتراً عندما عاد إلى السير مجدداً وقال:

ـ ألا يمكنك إيقاف السحر الفرنسي قليلاً حتى نصل إلى السيارة غاستون؟ فأنا بحاجة إلى حمام وغذاء، وأنا واثق أن هذا ما تحتاج إليه جوليا.

أدخلهما غاستون معتذراً إلى سيارته «السيترون» المنتظرة في الخارج، وراقب الحمال وهو يضع الحقائب فيها ثم نقده مبلغاً وسرعان ما كانوا يسيرون بسرعة في المدينة الجميلة.

جلست جوليا إلى جانب غاستون في المقدمة، تلتفت من هذه الناحية إلى تلك لرؤية مناظر الريو الملهلة. كانت الأرصفة، المرصوفة بالموزاييك الأبيض والأسود، مغطاة بين مسافة وأخرى بالمظلات البرّاقة التي قبعت فوق طاولات تعود ملكيتها إلى عدد هائل من المقاهي والمطاعم وكانت المباني

www.alkottob.com

مزيجاً من الطراز البرتغالي الاستعماري، ومن الطراز الحديث بناطحاته العملاقة. وكان فوق هذا كله أشعة الشمس التي تصب شعاعها الأصفر الذهبي على الأرض والناس الذين تدرجت بشرتهم بين الأبيض والأسود وسرعان ما اجتازت السيارة المدينة واتجهوا إلى «كوباكاباناه». كان الطريق هنا وهناك يدخل في أنفاق قصيرة تحت الجبال.. وعندما كانوا يمرون (بلوبلون) أشار بيرس إلى جبل (شوغرلوف) أو رغيف السكر، وإلى العربات المعلقة المتنقلة من القمة إلى الأسفل، فانتشت جوليا مرحاً وتخلت عن هدوئها كله.. وقالت وهي تشير بمنتهى السعادة:

- إنه منظر خرافي.. غير قابل للتصديق.. أعلم أنني أبالغ في وصفي ولكن، كيف يمكن للمرء أن يصف مثل هذا المنظر؟

أخيراً وصلوا إلى خليج «كوباكاباناه» الأبيض والذهبي ذي الفنادق الفخمة التي تغتسل أقدامها دائماً بالزبد الأبيض. وقد تبين لها أن فندق «أوروبراتو» هو من أقدم المباني.. وأذهلتها واجهته الرائعة المزينة هنا وهناك بشرفات جميلة تتدلى منها نباتات استوائية. كانت الشرفة الكبيرة تعج بالناس الذين يتناولون الغداء.

رافق غاستون جوليا وبيرس إلى طاولة الاستقبال، وقدمهما إلى المدير الذي استدعى غلاماً حمل حقائبهما إلى الغرف. قال غاستون:

- سأحجز طاولة على الشرفة أثناء إلقائكما نظرة على الغرف، وبعد أن تمعنا فيها النظر انضما إليّ.

أمسك بيرس ذراع جوليا:

- عظيم سنكون معك بعد عشر دقائق.

قادهما الحمّال إلى المصعد ومنه إلى الطابق الخامس، ففتح لهما باب غرفتيهما المتلاصقتين المتصلتين بباب مشترك، وتركهما مبتسماً نظراً لضخامة المبلغ الذي أعطاه إياه بيرس. وقال بيرس مرحاً:

- غاستون هو من حجز لنا الغرفتين، فلا تحمليني تبعة هذا.. مع أنني أعترف أنني لا أعترض على تقاربنا.

دخل قبلها إلى غرفتها، ولحقت به، تشهق إعجاباً.. كان في الجناح

حمام صغير مجهز بشرف وكانت غرفة النوم كبيرة مفتوحة على غرفة الجلوس حيث تفضي أبواب زجاجية إلى إحدى الشرفات.. خرجت إلى الشرفة تحدق إلى المنظر الرائع بذهول، ثم ضحكت وتادت بيرس. انضم إليها بسرعة، ولحق بإصبعها إلى حيث تشير، وبدأ فوراً بالضحك.. وقال:

- أظنك لاحظت أن في الباب المشترك مفتاحاً، ولكن ماذا ستفعلين بالشرفة المشتركة؟

ردت ساخرة: «سأدعو الله ألا تسير في نومك».

- تعالي، أمامك خمس دقائق فقط.

حين تركها هرعت إلى الحمام الذي راحت فيه تغسل يديها ووجهها بسرعة، ثم تبرّجت بعض الشيء قبل أن تمرر فرشاة على مفرق شعرها.. وكانت تشعر بشوق غامر لتناول أول وجبة برازيلية وعندما طرق بيرس الباب كانت على أهبة الاستعداد فنزلا بسرعة يفتشان عن غاستون. كان يجلس إلى طاولة قرب نهاية الشرفة الكبيرة المظللة.. وهبّ واقفاً ليُجلس جوليا بوقار، قبل أن يفرقع أصابعه ليستدعي الساقي. وما هي إلا لحظات قليلة حتى كانت جوليا تحتسي عصير الكرز مع الصودا، وتغرق في قراءة لائحة الطعام باللغتين الفرنسية والبرتغالية.

كان كلا الرجلين يتسليان وهما يريانها حائرة أمام الخيارات الواسعة من الطعام المعروض. أخيراً قالت متوسلة:

- ساعدني بيرس.. كنت هنا من قبل، فماذا تظنني سأحب؟

انحنى بيرس إليها يتفحص اللائحة.. وضحك غاستون لهما يخبث، وقال:

- ركّز تفكيرك على الطعام بيرس!.. غارسون!

تقدم الساقي بسرعة فسأله غاستون بالبرتغالية:

- ما هو أفضل طبق لديكم ميترو؟

- وهل السنيورا ضيفتنا؟ سأحضر لكم مجموعة من ألذ الأطباق ستيور تريدان.

ردت جوليا على الساقي بالبرتغالية:

www.alkottob.com

- حسناً.. «آغروبا باراميم» مجموعة مختارة إذن، «بورفاڤور» أرجوك.

شهق غاستون بطريقة مبالغ فيها، ونظر إلى بيرس بذهول:

- إنها تبدو ملاكاً وهي تتكلم البرتغالية أيضاً.. يا لها من موهوبة!

- لماذا ترافقني إذن؟ ثم عليك استخدام كلمة «ضليعة» بدلاً من موهوبة.. فمثالي الصغر يميل إلى العنف إذا تعرضت مزاياها إلى التساؤل.

عبست جوليا في وجهه باستياء، أما عينا غاستون السوداوان فانتقلتا من أحدهما إلى الآخر باهتمام. ثم لم يلبث أن نظر الرجلان إلى وجهها الدهش من كل ما يقع عليه نظرها.. كان الشاطىء مكتظاً بالمظلات المختلفة الألوان، تتخلله هنا وهناك مجموعات من الشبان الذين يلعبون كرة القدم المحبوبة جداً في البرازيل.. وكانت فوق الرؤوس طائرات الورق الملونة، السابحة في الفضاء وكأنها طيور ملوّنة براقة.

حين أتى الساقي حاملاً الطعام، اتسعت عينا جوليا.. فقد كان من الصعب عليها تصور ما يمكن أن يكون عليه السمك الممزوج بصلصة القريدس مثلاً. فالصلصة على عكس مثيلتها الإنكليزية كانت وجبة كاملة بحد ذاتها. أما فيليه السمك فقد كانت مختفية تحت طبقة ساخنة من القريدس المطهو مع التوابل والبهارات والبصل والطماطم والثوم.. وأخذوا يأكلون بشهية ويتباحثون في الوقت ذاته في ترتيبات الأيام القليلة القادمة.

أصغت جوليا إلى الرجلين وهي تأكل وتشرب العصير، تراقب باهتمام التباين الواضح بين الرجلين: غاستون فرنسي أصيل أسمر، وبيرس إنكليزي أصيل أسمر.

نظر الرجلان إلى طبقها الذي تركته نصف فارغ، ولوّح غاستون بإصبعه:

- ماشيري جوليا.. جسدك رائع فلمَ الحمية؟

تنهدت جوليا أسفاً:

- أنا آسفة الطعام لذيذ جداً، أعترف ولكنه يكفي ثلاثة أشخاص.

أشفق بيرس عليها وغيّر الموضوع:

www.alkottob.com

ـ على فكرة غاستون، كنت مهملاً جداً ولم أسألك عن سوزيت.. كيف حالها؟

ـ آه.. سوزيت جميلتي! إنها لا تحب الحياة في الريو. تشتاق إلى باريس، لذلك قررت العودة عند أمها لفترة وجيزة.

دهشت جوليا من نظرة بيرس الساخرة التي حلّت محل العطف، وتمتم وهو يقف:

ـ مؤسف جداً أيها العجوز.. أظن أن السيدة ستحتاج إلى القيلولة. الأفضل أن نلقي نظرة على موقع «لاغوا آزول» بعد الظهر، ثم نتركها تستريح.

وقفت جوليا وهي مستعدة لإطاعته، فقد تركها الغداء الضخم وحرارة الجو، والرحلة الطويلة متعبة. رافقها الرجلان إلى المصعد، وقبل غاستون يدها بأناقة ثم أدخلها إلى المصعد. في غرفتها استولى عليها الإرهاق حتى عجزت عن خلع فستانها وحذائها بشكل لائق.

وكان أن رمت نفسها على الفراش وغرقت في نوم عميق.

أخيراً استيقظت على رنين الهاتف. كانت الغرفة مظلمة فجلست مشوشة الذهن تبحث عن الهاتف. كلمة «آلو» الذاهلة، لاقتها ضحكة مرحة من الطرف الآخر.

ـ انهضي واصحي، يا نائمة.. أنا بيرس.. على فكرة.

ـ يا للعار.. تمنيت لو تكون «روبرت ريدفورد».

أضاءت مصباح السرير.. ورد عليها:

ـ عرفت من مصدر موثوق أنه غير قادر على الاتصال بك الليلة.. لذلك انهضي من السرير، ثم ارتدي ثوب السهرة.. سأمهلك نصف ساعة قبل أن أطرق بابك في التاسعة والنصف.

تثاءبت جوليا:

ـ أليس الوقت متأخراً للعشاء؟

ـ أبداً.. إنه وقت مبكر بالنسبة للمقاييس البرازيلية. أراك لاحقاً.

استلقت جوليا خمس دقائق.. تستجمع أحاسيسها المرتبكة. ثم

www.alkottob.com

دخلت إلى الحمام ووقفت وقتاً طويلاً تحت المياه الفاترة. جففت نفسها وتعطرت ثم ارتدت بسرعة الفستان الوردي والعاجي الخالي من الأرداف ثم وضعت بعض الظلال البنفسجية فوق عينيها وأضافت أحمر شفاه ورديا، ثم مشطت شعرها كله، وضفرته في ضفيرة واحدة، رفعتها كتاج على رأسها، تاركة خصلتين تلتفان حول أذنيها بحرية. عندما سمعت طرقاً على الباب التقطت حقيبتها الصغيرة، وتقدمت لتفتح.

كان بيرس يتكىء بصبر إلى إطار الباب، يرتدي بذلة خفيفة لونها رمادي فضي وتحتها قبع قميص حريري أحمر غامق، مفتوح الياقة.. لمعت عيناه إعجاباً حينما وقعتا على مظهرها.

ـ ليست الفتيات البرازيليات وحدهن رائعات الجمال أميرتي.. فقد فعلت بك القبلولة الأعاجيب.

أقفل الباب خلفها، يقودها إلى المصعد وقالت ترد عليه:

ـ كنت غارقة في النوم حين اتصلت بي. وكان من الممكن أن أنام حتى الغد لو تركتني.

ابتسم ممازحاً: «ربما كان عليّ أن أتركك».

هزت رأسها بإصرار.

ـ لا أريد تفويت دقيقة من الزمن أثناء وجودي هنا. أستطيع النوم حين أعود إلى وطني. هل سيتعشى غاستون معنا؟

لم يرد بيرس فقد وصل المصعد إلى الطابق الأرضي، ودلفا إلى غرفة الطعام الصغيرة الجميلة التجهيز التي كان جداران من جدرانها من الزجاج الذي يسمح للموجودين بمنظر بهي متألق هو لخليج «أفاندا اتلانتيكا» المتنشي بالقمر المتلألىء على زبد البحر.

قادهما كبير الخدم المحترم إلى طاولة في الزاوية.. ضحكت جوليا وهي تجلس ثم استلمت لائحة طعام فخمة من أحد السقاة الأقل مقاماً الذي استدعاه كبير الخدم بوقار.

اختارت بناء على نصيحة بيرس شراباً اسمه «كوباليبر» تبين لها فيما بعد أنه عصير أناناس مع الكولا وكمية من الحامض والكثير من الثلج.. وجالا

معاً في قراءة جزء كبير من اللائحة قبل أن يجيب بيرس عن سؤالها المتعلق بغاستون:

ـ ربما سيخيب أملك، فأنا لم أشجع صديقنا تريدان على الانضمام إلينا هذا المساء رغم رغبته في ذلك فقد أثرت فيه عظيم الأثر.

ردت ساخرة:

ـ هراء! إن ما بدر منه من إطراءات وتقبيل يد ليس سوى عدة العمل المتوقعة من فرنسي.

نظر إلى عينيها بثبات: «ظننت أنك تمتعت بها».

ـ طبعاً تمتعت. كانت تسلية كبرى لي. ولكن من الصعب أن أحملها على محمل الجد، فلست بلهاء بيرس.

غيَّر دفء ابتسامتها مزاج بيرس الكئيب:

ـ أعتذر يا أميرتي.. والآن ماذا سنأكل؟

استدعى بيرس كبير الخدم الذي يجيد الإنكليزية قليلاً، واهتم بوقار باختيارهم. بدأت الوجبة بطبق «أفوكادو» مع الخل والثوم. أما الطبق الرئيسي فكان اسمه «كاماريوس آغريغا» وهو عبارة عن قريدس ضخم يصطف حول البصل واللحم المقلي المتبّل بالزبدة اللذيذة، والمقدّم على طبق من الأرز الممزوج بمختارات من الخضار المعروف بعضها والمجهول بعضها. أما الحلوى فكانت «كومبوت» وهي عبارة عن تين طازج مثلج وكريمة غارقة بعصير الفريز.

تنهدت جوليا من التخمة وهي ترتشف القهوة البرازيلية المرّة من فناجين صغيرة.. ونظرت حالمة إلى بيرس بعينين نصف مغمضتين.

ـ لا أكاد أصدق أننا هنا. هنا، في الريو.. رؤية كوباكابانا من النوافذ يبدو خيالياً. أتظن أننا نستطيع الذهاب للتمشي على «أفانيدا»؟

هبا واقفين ثم غادرا الفندق للتجوال فوق الرصيف المرصوف بالموزاييك الذي أصبح مألوفاً لهما الآن. رغم الوقت المتأخر بالنسبة للمقاييس الإنكليزية كان الأفاندا محتشداً بجماعات من الناس المرتدين ثياباً ملونة، المتمتعين بالليل الدافىء وبالهواء المالح المندفع من أمواج البحر.

www.alkottob.com

أمسك بيرس ذراع جوليا وهما يسيران أمام الفنادق المشعة بالأنوار. وأخذت سرعة خطواتهما تخف تدريجياً حتى لف بيرس ذراعه حولها وأدارها بلطف باتجاه «أوروبراتو».

- هل ستكونين على أهبة الاستعداد للتعامل مع السيد البرازيلي في الصباح؟

- طبعاً.. متى؟

- سيسمح لنا المدير باستخدام غرفة في الفندق كمكتب.. وسنبدأ الاجتماع في التاسعة، ونعمل حتى الواحدة تقريباً وبعد ذلك يكون الغداء والاستراحة على أن نعود إلى العمل حتى السادسة، أما المساء فسيكون لنا.

ابتسمت جوليا للوجه الأسمر القريب من وجهها:

- لا يشبه يوم عمل في الميدلاند.. صحيح؟

لامس فمه رأسها، غير آبه بالمارة فتسارعت نبضات جوليا خاصة وأن ذراعه تشتد حولها. ولكن سرعان ما قادتهما خطواتهما البطيئة إلى الفندق، حيث تركها على مضض ليطلب المفاتيح. كان المصعد فارغاً وعندما دلفا إليه وقفا في مواجهة بعضهما بعضاً فمد يده إلى كتفيها بحنان جعلها ترتجف، أما هي فضغطت نفسها عليه في عناق رائع. جعلهما توقف المصعد المفاجيء يبتعدان وهما يتبادلان النظرات الحالمة ثم لم يلبثا أن سارا يداً بيد في الممر نحو غرفتها.

فتح بيرس الباب، والتفت إليها ثانية، يعطيها المفتاح.

- حبيبتي.. أرغب في أن أدخل ولكنني لن أطلب حتى.. ولا تخافي من الشرفة فلن أتسلل منها، أعدك.

أخرجت جوليا صوتاً صغيراً هو خليط من الضحك والاستغراب.

- شكراً لك بيرس.. لكن لماذا أشكرك، السبب غامض قليلاً.. تصبح على خير.

رفعت نفسها لتقبل خده بسرعة قبل أن تتمكن ذراعاه من الوصول إليها، وفي الغرفة راحت توبخ نفسها بقوة لأنها لا تريد أن تكون فيها بمفردها.

* * *

٧ - امرأة ورجلان

أيقظتها الشمس التي كانت تتسلل من أبواب الشرفة باكراً، وأومأت إليها بإغراء لتخرج طلباً للتمتع بمنظر «كوباكوبانا» الصباحي الباكر. استحمت وارتدت ملابسها، قبل أن تحمل إليها خادمة سمراء مبتسمة، الفطور الذي تناولته قرب النافذة المفتوحة، وتمتعت بالقهوة والحليب، والخبز بالسكر المقدم مع الزبدة غير المملحة والمربى الكثيف من السترجل. في الثامنة والنصف، فتحت الباب رداً على طرق خفيف فوجدت وجه بيرس الضاحك أمامها.

- صباح الخير.. أنت جيداً؟

- جداً..

أحضرت دفتر الملاحظات والحقيبة ثم انطلقت معه إلى الطابق الثاني حيث أدخلها إلى غرفة متسعة فيها طاولة طويلة وعدة مقاعد.. ما إن رتبت أغراضها في المقعد المجاور لمقعد بيرس حتى وصل غاستون مع رجلين أحدهما شاب نحيل، والآخر يميل إلى السمنة وهو أكبر سناً. كان كلاهما أدكن اللون، أسود الشعر، ولكن الأكبر سناً كان يشوب شعره اللون الرمادي. وقد أبديا سرورهما بلقاء جوليا، أمسك أكبرهما سناً بيدها يرفعها إلى شفتيه:

- أنا مسرور جداً سنيورا، أنا فرناندو سانتوس، بخدمتك.

كانت إنكليزيته ركيكة ولكن فيها لكنة أميركية قوية.. وارتفع حاجباه حين أجابت جوليا بالبرتغالية:

- أوتاميوم سنيور، تشرفنا.. موتشو برازي، شكراً كثيراً. أنا جوليا دراغونر.

www.alkottob.com

انطلق في سيل مندفع من اللغة البرتغالية، يقدم زميله الأصغر منه سبيرو مارتينيز الذي انضم إلى الحديث، الذي تمكنت جوليا من متابعته بسهولة وتركيز، تاركة غاستون يستدير إلى بيرس بذهول:

ـ كنت حكيماً عندما أحضرت هذه الفاتنة معك. إنهما الآن يأكلان من يدها، كما يقال.

رد بيرس بحدة:

ـ أقترح أن نبدأ العمل.

وجذب المقاعد للبرازيليين، وسارع غاستون في إجلاس جوليا في مقعدها متباهياً. ومضى الاجتماع بسرعة كبيرة، في جو من المودة، كان يصرّ فيه السيدان اللاتينيان على مناداة جوليا «بالدونا هيلانة» مما أسعدها كثيراً. وكانا يتشاوران معها بالبرتغالية ويتعاملان مع بيرس وغاستون بالإنكليزية. وقد استمر العمل ولم يقطعه إلا فترة قصيرة لاحتساء القهوة لذلك ما إن أصبحت الساعة الواحدة حتى أعلنوا أن اجتماع ما بعد الظهر لم يعد ضرورياً.

انحنى السنيور فرناندو على يد جوليا وقال بالإنكليزية لمصلحة بيرس:

ـ والآن «دونا هيلانة» ستتناول طعام الغداء جميعاً، في «ماتشاروس» التي تقع على مسافة قريبة من «البرايا» وسيسمح لنا السنيور هارتويل بأن نقدم إليك بهجة التمتع بالكركند الذي تتناولينه تحت أشعة الشمس وأنت تتأملين «الموتشاس» يرتدون «المايلوتس» ماذا تسمونها: أثواب السباحة؟

ابتسم غاستون بخبث:

ـ مع أن الكثيرين لا يسبحون وهم يرتدونها، إنها فقط لاجتذاب الذكور من الجنس البشري!

تجاهلت جوليا هذا المزاح والتفتت إلى بيرس بتساؤل، فقال بلطف:

ـ تبدو فكرة رائعة أيها السادة.. هل سترافقنا غاستون؟

غمز غاستون بعينيه السوداوين:

ـ لن تستطيع إبعادي!

ـ ولن أمانع في أن أجرّب.. وإياك وارتكاب أية غلطة، أيها الشجاع..

ست راهباً.

ضحك غاستون ثم صفع بيرس على كتفه، ولحقا بالرجلين اللذين كانا افقان جوليا وهي تهبط الدرج.

قرر الجميع السير إلى الموتشاروس تحت أشعة الشمس الحارة وقت ظهيرة، مع أن البرازيليين أبديا قلقاً من أن تجد جوليا الشمس قوية.. ضحكت جوليا:

ـ أوه.. أرجوكما يا سادة. أنا لن أحترق، ثم لن يكون لدي متسع من وقت للتمتع بالشمس حين نعود إلى إنكلترا..

لم يمر وقت طويل حتى كان الجميع يتحلقون في العراء حول طاولة في طعم «الماتشاروس» فاستمتعوا باحتساء العصير الاستوائي الشهير من أكواب رفيعة طويلة وبقضم اللوز والبندق والزيتون الذي ألهى معداتهم حتى وصل الطعام. وكان بيرس متأثراً بمقدار ما كانت جوليا متأثرة وعندما وصلت الأطباق كانت تحتوي على الكركند وعلى سلطة الخضار المتنوعة.

ـ تبدو لذيذة! سنيور سبيرو، ما هذه؟

ـ إنها «بالاميتو» لب النخيل.. لذيذة أليس كذلك؟

كان ينظر إليها مسروراً بتمتعها بالطعام.

ـ دوميناس! جداً. وهذا المايونيز ممتاز. بيرس ما الذي يسليك هكذا؟

ـ كنت أفكر في أن مقهى ماريو في ساحة السوق سيكون مزرياً قليلاً بعد هذا..

ـ أبداً، فذاك في وطني. أما هذا فقرصة فاصلة رائعة.

ابتسمت له عيناها، فانحنى إليها بطريقة لا إرادية ولكنه تراجع حين تدخل غاستون متعمداً.

ـ بيرس، يقترح فرناندو وسبيرو أن نلتقي هذا المساء لنعرفكما إلى «التشاريكو».. لا أظنك عرفت واحداً في رحلتك الأخيرة.

لم يستطع بيرس إلا شكره على الدعوة وابتسم للبرازيليين بعدما نظر إلى جوليا للتأكد من موافقتها.. فسألت باهتمام:

ـ ما هو «التشاريكو» بالضبط؟

www.alkottob.com

- إنه مطعم يقع في الناحية الأخرى من «كوباكوبانا» فيه يُطهى اللحم على نار الفحم وأمام أنظار الزبائن. ماذا تختارين من اللحم؟ آه.. أظنكم تسمّونه «الباربكيو» أو الشواء.. إذ يوضع فوق أسياف رفيعة للشواء ثم تأكلينها مع صلصة متنوعة فيها الفاصولياء السوداء والأرز..

صاحت جوليا:

- توقف! يجب أن أنام العصر كله لأسترد نشاطي بعد هذا الغداء وبعد أن أستيقظ حدثني عن الشواء لأحكم عليه بإنصاف.

بعد أن تفرق الجميع، عادا إلى الفندق سيراً على الأقدام. فنظر بيرس إلى ساعته:

- هل عنيت ما قلت بشأن النوم جوليا؟ أم أنك تحبين الاسترخاء تحت مظلة على الشاطىء مدة ساعة؟ الساعة الآن توشك أن تبلغ الرابعة وفي مثل هذا الوقت تكون الحرارة خفيفة.

- رائع! كنت أتساءل متى ستتاح لي فرصة الاستلقاء تحت أشعة الشمس.

زودهما الفندق بمظلة وبفراشين من قش ليستلقيا عليهما ثم أرشدا إلى مصعد خاص يمكنهما استخدامه متى شاءا العودة إلى الفندق هذا في حال رغبا في عدم ارتداء ملابسهما ثانية. وأخرجت جوليا ثوب سباحة مرجاني اللون، وروباً مماثلاً، وكانت جاهزة قبل أن يجهز بيرس الذي انضم إليها وهو يرتدي ثوب سباحة أسود اللون. أوصلهما المصعد الخاص مباشرة إلى جانب المبنى وسرعان ما عبرا «الأفانيدا» أي الشارع العريض واستقرا على الشاطىء فوق الفراش وتحت المظلة التي ظللتهما من الشمس الحارقة.

دلكت جوليا ذراعيها وساقيها بالزيت الواقي ثم استلقت على ظهرها، تضع حقيبتها تحت رأسها تنعم بحرارة الشمس، واستلقى بيرس إلى جانبها وظلا مستلقيين برضى كامل وقتاً طويلاً. أخيراً استدارت جوليا، فمد يده إلى زجاجة الزيت ليدلك لها كتفيها وظهرها حتى الوسط.. وقال بصوت أجش مختنق كاد لا يُسمع بسبب هدير البحر:

- ربما لم يؤثر فيكِ تدليكي ولكنه ترك فيَّ أثراً مدمراً.

بقيت بلا حراك، ثم أدارت رأسها لتنظر إليه.. كان مستلقياً ووجهه بين ذراعيه.. وقالت:

- لكنني لم أبتعد عنك بيرس.

- أتظنين أنني لم ألاحظ هذا؟ كان إحساسي ببشرتك تحت لمستي وقبولك بتدليكي هما ما حالا بيني وبين الابتعاد. وإنه لمن حسن حظك وجودنا في مكان عام.

عندما مدت جوليا يدها بلطف تلامس ذراعه التفت نحوها وأمسك يدها بشدة ثم ابتسم لها وتعبير جاد يبدو واضحاً على وجهه:

- ما دمتا على انفراد يا ملاكي، هل لي أن أطلب شيئاً؟

ابتسمت له بكسل: «اطلب إنما ضمن المعقول».

- أحس أنك تظهرين وداً لغاستون، بل الواقع أنك تشجعينه قليلاً.. فهلا أوقفته عند حده من فضلك؟ فعين هذا «الفرنسي» الطوافة لا تبارح وجهك أبداً، إن أعطيته أملاً ولو بسيطاً فستواجهين المتاعب.. فليس هناك أخطر من زوج مهجور.

تسمرت جوليا في رقدتها فترة طويلة، حتى اعتقد أنها لم تسمع شيئاً. ولكنها أحست أن المرح والخفة اللذين شعرت بهما قد تلاشيا إلى درجة الإحساس بالبرودة رغم حر الشمس. اضطجعت على ظهرها، ثم جلست تخرج نظارة كبيرة وضعتها فوق أنفها، وبقيت جالسة، تحتضن ركبتيها وتنظر إلى البحر والسعادة قد تلاشت تماماً. وساد صمت يكاد يكون ملموساً.

جلس بيرس أيضاً، وعيناه الزرقاوان قلقتان:

- ألن تقولي شيئاً جوليا؟

ابتسمت له ببرود:

- أتعلم.. أظن أنني اكتفيت من حرارة الشمس للمرة الأولى، فمن الغباء المكوث طويلاً. سأعود إلى الفندق لأستحم. وأرجوك، لا تجبر نفسك على مرافقتي.

وقفت دونما استعجال، تلف روبها حول جسمها ثم تركته يجلس حيث

www.alkottob.com

هو وتعبير قاتم يعلو وجهه.

حين وصلت إلى غرفتها، أحست أنها مريضة من جراء السيطرة الحديدية التي مارستها على أعصابها، سحبت عدة أنفاس عميقة لتهدىء روعها ثم نظرت إلى المرآة باستياء.. فوق الشاطىء استلقت لحظات وهي تنعم بقربه، وكانت تدرك أنهما لو كانا على انفراد لرمت بنفسها بين ذراعيه، ولاستجابت له بدون أن يردعها تحفظها الطبيعي المعتاد. ولكن الطلب الذي أتى في أوان غير أوانه جفف مشاعرها وجعلها تشعر فجأة بالمرارة، فلم يحدث أن حظي غاستون بأي تشجيع يتعدى التشجيع العادي الذي يبدر من موظفة تحاول خدمة مخدومها لتساعده على ربح العقد الذي قطع هذه المسافة من أجله.

خلعت ثوب السباحة، ثم فتشت حقيبتها عن كتاب، ودخلت إلى الحمام تملأ المغطس بمياه فاترة، استلقت فيها وهي تجبر نفسها على التركيز على قراءة القصة. راحت تدريجياً تسترخي وتهتم بحبكة القصة، أخيراً غسلت شعرها، ووضعته في منشفة ثم استلقت في الفراش وكان أن غرقت في النوم. وكما حدث في الليلة السابقة أيقظها رنين الهاتف ولكن المتكلم هذه المرة كان غاستون، ذا الصوت الأجش.

ـ بونسوار شيري.. ! سي غاستون.. بيرس معك؟

ـ مساء الخير سيد تريدان.. لا.. ليس هنا.

صوتها بارد جاف.. فقال بسرعة:

ـ آه.. ! باردون.. هلا أخبرتني أين أجده فهاتف غرفته لا يرد؟

ـ لا أدري.. لم أره منذ العصر.

ـ نو؟ قولي له إنني سأكون في المقهى في التاسعة والنصف.. سأرافقكما إلى «التشاريكاريا غاونشو».

ـ شكراً لك.. إلى اللقاء إذن.

أقفلت جوليا الهاتف، ثم قفزت من سريرها بحدة حين أدركت كم تأخر الوقت. بعد ثلاثة أرباع الساعة، كانت قد استحمت من جديد وارتدت فستانها الأحمر الحريري، ولكنها قررت أن حرارة الجو لن تسمح لها بارتداء

السترة.. الفترة القصيرة التي تمتعت فيها بأشعة الشمس أضافت رونقاً لطيفاً إلى بشرتها السمراء. في الواقع بدت سليمة الجسم وبما أن شعرها لم يكن قد جف تماماً فقد تلوّى في عقدة غير مستوية فوق قمة رأسها. حين سمعت الطرقة المتوقعة، تقدمت إلى الباب وهي لا تعرف كيف تواجه بيرس، ولكن قرارها انتزع منها حين دخل فجأة، يركل الباب وراءه.. وقبل أن تحتج كان يمسك بها بين ذراعيه يعانقها بوحشية.. أصيبت جوليا برهة بالدهشة فلم تقاومه، ولكن حين أحست أنها بحاجة إلى التنفس، انتزعت نفسها منه، وسحبت أنفاساً عميقة وبرقت عيناها بغضب بارد.. لكنه قطّب وقال بسرعة: «جوليا».

قاطعته ببرود وأدب وكأن تهجمه لم يكن: «مساء الخير بيرس».

وقف متردداً وعلى وجهه الارتباك وأردفت:

ـ اتصل غاستون منذ قليل فلأنه لم يجدك ظن أنك معي هنا. قال إنه سينتظرك في المقهى في التاسعة والنصف.. وها الساعة قد تجاوزت ما ذكرت. فهل لنا إذن أن ننضم إليه؟

التقطت حقيبتها ومفتاحها، وأعطته المفتاح، ثم غادرت الغرفة على غير عجل فلحق بها يقفل الباب خلفه، ثم أمسك ذراعها عندما كانا ينتظران المصعد.

ـ سامحيني جوليا.. لم أقصد مهاجمتك. قولي شيئاً بصدد الأمر بحق الله! لا تعامليني وكأن لا وجود لي!

حين وصل المصعد، دخلت إليه جوليا واستندت إلى جداره تنظر إلى بيرس بإمعان وتفكر. ثم قالت:

ـ أعتقد أن من الأفضل تجاهل ما جرى يا بيرس.. خاصة وأنه لن يفيدني الظهور بمظهر المرأة التي تشجع الرجال.

اسود وجهه:

ـ آه.. هكذا إذن! ما زلت منزعجة مما قلته لك على الشاطىء. اللعنة جوليا.. لم أقصد سوى التوقف عن تشجيع غاستون.. ولا حاجة بك إلى تحجيمي بهذا الشكل.

www.alkottob.com

ردت بكلام مقنع عذب:

- لا شك أنني أصبحت في هذا المكان مشوشة الفكر.. أترى، لم أكن أعتقد أنني أشجع أحداً.. كنت أتصرف فقط باحترام طبيعي مع الأسياد الثلاثة. على أي حال، لا حاجة للقلق.. سأبذل قصارى جهدي لتغيير تصرفاتي الودودة تجاه الجميع بلا استثناء.

لم يستطع بيرس قول المزيد لأنهما وصلا إلى الطابق الأرضي في تلك اللحظة، فاضطر للحاق بها عبر الفناء الداخلي إلى المقهى، حيث كان غاستون بالانتظار.

قال بيرس له ببرود: «بكّرت بالوصول».

رفع الفرنسي يد جوليا إلى شفتيه:

- كنت تواقاً للوصول في الوقت المحدد.. على أي حال، ما زال البرازيليون يهتفون أحياناً «هورا إنكليز» حيوا الإنكليز حين يسألون عن الدقة.. أليس كذلك؟

اقترحت جوليا بسرعة المغادرة حالاً إلى «تشاريكاريا غاوتشو» للقاء البرازيليين لأن الجو لم يكن ودوداً بين الرجلين.

في تلك الليلة، عندما عادت جوليا إلى غرفتها فكرت أن ما من أحد يستطيع القول إنها لا تلقي بثقلها على الرحلة كلها. كانت الوجبة رائعة، والبرازيليين سروا عندما رأوا اتساع عينيها لدى وصول قطع اللحم المشوي على الفحم. حاولت بجهد أن تماشي الرجال في استيعاب كمية كبيرة من اللحم، ولكن بالها اطمأن حين أخذ الساقي من أمامها نصف اللحم المتبقي.. وبدت التسلية والمرح على وجوه الرجال حين عاد الساقي بعد قليل حاملاً إليها اللحم الذي أخذه وذلك بعدما سخنه لتأكله ثانية..

مع مضي الوقت مال البرازيليان إلى هجر الإنكليزية، وراحا يتحدثان بالبرتغالية مع جوليا. وبدأ رأسها يؤلمها للجهد الذي تبذله لاستيعاب ما يقولانه بسرعة وثبت لديها بشكل مدهش أنه مضن، خاصة وهي تحاول أحياناً أن تسمع ما يقوله بيرس وغاستون.. وكانت راحتها عظيمة عندما علمت أن حديثهما كان تقنياً بحتاً، ولاحظت أن غاستون لجأ إلى الفرنسية

التي بدا لها أن بيرس لا يجد صعوبة في فهمها.

كانت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل حين رافق الرجال الأربعة جوليا إلى الفندق، حيث اعتذرت منهم، متجنبة عيني بيرس الساخرتين.

جاء الصباح بسرعة كبيرة. وما هو إلا وقت قصير حتى كانت تتناول الفطور قبل البدء بالاستعداد لجلسة الصباح. كان ما زال لديها فستان واحد للعمل لم تستعمله حتى الآن. فستان أبيض وبني قصير، يشبه القميص الرجالي. ولكن وحينما كانت تصارع شعرها مرة أخرى، فكرت بجد أن تقصه.. في موطنها لم يكن يشكل لها مشكلة، ولكنه هنا يتطلب منها عملاً شاقاً. تخلت عن كل محاولة في رفعه وأكتفت بتضفيره، ثم انتظرت وصول بيرس. ولكنه لم يصل قبل التاسعة وكانت قد بدأت تتساءل عما إذا كان قد نسيها لذا عندما قرع الباب سارعت إلى فتحه:

- صباح الخير.

كان يقف وهو لا يبتسم فتناول منها المفتاح ورافقها إلى غرفة الاجتماع بصمت ولم يسألها سوى سؤال مهذب عما إذا كانت قد تمتعت بسهرة الأمس.

كان الرجال بانتظارهما حين دخلا فرحبوا بهما وتبادلوا التحيات المعتادة ثم غاص الجميع في تقويم وتوضيح آخر بنود الاتفاق. وما إن حلت الظهيرة حتى كانت كل النقاط قد سويت، ولم يبق سوى انتظار تقرير بيرس بعد عودته وجوليا إلى المملكة المتحدة.

أصرَّ سنيور فرناندو والسنيور سبيرو على جوليا للانضمام إليهما على الغداء، فهما غير قادرين على المشاركة بالعشاء هذا المساء فابتسمت بدفء لهما ورفضت ثم شرحت لهما بلباقة أنها تعرف أن الرجال يحبون قضاء اللقاء الأخير بدون صحبة النساء كما ذكرت أنها لا تستطيع مغادرة بلادهما الجميلة بدون شراء بعض الهدايا لعائلتها..

كان بيرس حازماً، وهادئاً حين قال:

- يجب أن تأكلي شيئاً أولاً.

www.alkottob.com

- سأطلب سندويشاً إلى غرفتي.

- استقلي سيارة أجرة إلى الريو، وزوري «روا افيدورة» إنه المكان المناسب للتسوق في الريو.. مثل «بوندستريت» في لندن. وإن كنت لن تتأخري فاطلبي من السائق أن ينتظرك لتعودي بسرعة.

أخرج بيرس حزمة نقود من جيبه.

- الأفضل أن تستخدمي الكروزيرو البرازيلي على أن تسددي لي ما تصرفينه فيما بعد إنما بالاسترليني طبعاً.

كانت ابتسامته خبيثة، وكانا قد تأخرا عن الباقين فنظرت جوليا إلى المال بريبة:

- يبدو مبلغاً كبيراً.

- ستحتاجين إليه. كوني جاهزة الليلة في التاسعة.. أظن أن غاستون سيدعونا إلى مطعم فرنسي.. وستتمكن الليلة عكس البارحة من تبادل الأحاديث بالإنكليزية. أنا أقدر لك جهودك.

- شكراً لك بيرس. أنت في غاية اللطف.

- أمامك أنا أكون لطيفاً جوليا.. أحاول جهدي!

أقفل باب المصعد على تعابير وجهه الغاضب، وابتسمت جوليا لنفسها.. لديها إحساس أن الرحلة قد انقلبت إلى شيء يختلف عما خطط بيرس له.

* * *

٨ - جحيم الرجال

حين وصلت السندويشات والقهوة، سألت جوليا الساقي إذا كان يعرف محلاً لتصفيف الشعر يستقبلها بدون موعد مسبق.

- «كابليرو» سينورا؟ طبعاً!

كانت ابتسامة الشاب البيضاء في وجهه الأدكن تلمع وهو يشرح لها أن شقيقته تعمل مع أشهر مصفف شعر في الفندق، السنيور كابليرو، وسيأخذ لها موعداً إذا سمحت له السنيورا باستخدام الهاتف؟

وسمحت السنيورا، وبعد سيل متدفق من الكلام البرتغالي لم تتمكن من فهم إلا نصفه عاد إليها متصرفاً وأبلغها أن الموعد بعد نصف ساعة، وهذا أكثر بكثير مما كانت تأمل به، فنقدته مبلغاً سخياً.

- موتشي أوبريغارو سنيورا.

وانحنى لها بسعادة.

أنهت جوليا غداءها ثم زينت وجهها وتوجهت إلى صالون الحلاقة.

كان السنيور كابليرو، رجلاً شاباً نحيلاً أنيقاً، مستعداً لأي شيء ليرضي السيدة الإنكليزية، خاصة وأنها تتحدث لغته بمثل هذا السحر. بعدما غسلت فيوليتا شقيقة الساقي شعرها بالشامبو وصلت إلى يدي الريّس الذي أدار وجهها إلى هنا وهناك وبقي صامتاً فترة يتأملها، ثم اقترح أن تترك له كل شيء.. حين سمح لها أخيراً أن ترى النتيجة النهائية في المرآة، أحست جوليا بأنها تحولت. كان شعرها قد التف حول رأسها في طبقات مسترسلة وصلت إلى كتفيها فقط.. وكانت غرتها قد قصت على شكل أهداب ناعمة فوق جبينها، بدت التسريحة متلائمة منسجمة مع جمال وجهها وأحست جوليا أنها أخف وزناً وأصغر سناً كما شعرت بأنها طائشة لعوب. وحين

www.alkottob.com

سمع كابليرو برحلة التسوق، طلب من إحدى الفتيات الاتصال بصديق له يملك تاكسياً، وأكد لها بأنه جدير بالثقة. كانت السيارة بالانتظار حين خرجت إلى أشعة الشمس وسرعان ما كانت في طريقها إلى المدينة وإلى كنوز «أوفيدور».

حين وصلا، أبدى السائق استعداده لانتظارها ساعة. وثبت لها أن «روا اوفيدور» كان زقاقاً حديثاً ضيقاً وكأنه ممر مقوّس فراحت تجوب الزقاق جيئة وذهاباً من جانب إلى آخر، غير راغبة في أن يفوتها شيء من جمال الأشياء المعروضة.. أخيراً أجبرت نفسها على التوقف لاختيار ما تريده فاشترت محفظة نقود من جلد التمساح لهنري وفستاناً أبيض مطرزاً بالفراشات لكارول، وبغلاً خشبياً من صنع يدوي لكل ولد. وبعد توقف قصير، وجدت مناديل شاي مطرزة للسيدة هيكنز، ثم أطالت التفتيش عن شيء مميز لأختها، أخيراً قرّ رأيها على سوار ذهبي، يحمل طلسم «الفيغا» وهو طلسم الحظ السعيد في البرازيل.

لم يبق أمامها إلا بعض الوقت قبل أن تعود إلى التاكسي المنتظر، فأرادت أن تشرب العصير لأنها ظمأى ولكن فيما كانت تبحث عن مقهى لمحت في إحدى الواجهات ما أسر نظرها، ففي الواجهة عُرض فستان من الساتان ناري اللون. كان الفستان من الحرير الأسود الضيق فوقه وشاح أبيض منقط بالأسود، وامتلأت نفس جوليا رغبة فاندفعت إلى المحل الأنيق وما هي إلا لحظات حتى كان الفستان منزوعاً عن الواجهة وجوليا تجربه. وكلفها الفستان الصغير كل ما بقي معها من شيكات سياحية تقريباً، فخرجت وهي تشعر بالذنب إلى حيث كان التاكسي منتظراً.

تأخرت جوليا في الوصول بسبب ازدحام السير. حينما دخلت أوريوبراتو، سلمها الشاب في الاستعلامات مغلفاً مع مفتاحها وقد وجدت في المغلف مذكرة صغيرة بخط مألوف «ذهبت إلى «لاغوا آزول» مع غاستون.. سنكون في المقهى في التاسعة.. لاقينا هناك.. بيرس».

صعدت جوليا إلى غرفتها فوضعت مشترياتها ثم تاقت إلى تعليق فستانها الجديد الذي ما إن ألقت عليه نظرة ثانية حتى نسيت عقدة الذنب التي

شعرت بها عندما اشترته. فجأة لمحت نفسها في المرآة فتسمرت في مكانها، فقد نسيت كل شيء عن شعرها وها هي ترى أنها لا تبدو هي نفسها. وأحست بالأسى على شعرها الكثيف: ستبدي لبديا دهشتها دون شك. خرجت إلى الشرفة لتتأمل الأنوار المتلألئة على الخليج. وأخذت تتعجب كيف أنه في لحظة من اللحظات كانت الشمس مشعة، وفي اللحظة الأخرى كانت الظلمة المخملية تسود المكان كعباءة محلاة بالجواهر المرصعة بالنجوم. فجأة لمحت أحد محبي الطائرات الورقية، يلف خيطانه فوق الرصيف الموازييكي، على بُعد قليل من الفندق. فحملت محفظة نقودها ومفتاحها، وركضت إلى المصعد ومنه إلى الخارج. كان الطيار الصغير الأسمر البشرة سعيداً جداً لبيعها ثلاث طيارات ملونة أرادت أن تشتريها من أجل الصبيان الثلاثة.. وقالت لنفسها بحزم، هذا يكفي جوليا لقد بتّ مدينة لبيرس بثروة. إذن ما من مزيد من المشتريات. ولكن، من يعلم متى ستزور مكاناً رائعاً كهذا مرة أخرى؟

جاءها خادم الغرف يحمل إبريق شاي كبيراً، ودهشت لرؤية الحليب الساخن الذي قدم معه. جلست براحة تحتسي عدة فناجين على الشرفة، تتمتع بالمنظر الرائع الممتد أمامها وتصغي إلى هدير البحر الدائم. أرادت الليلة أن تمهل نفسها الوقت الذي تريد وليتحلّ الرجلان بالصبر فلا بأس أن خالفت عادات الإنكليز في المواعيد. ورغم نيتها بالتأخر قدر المستطاع وصلت في الساعة التاسعة والربع، وكانت قبل ذلك قد استحمت وتعطرت وتزينت بعناية فائقة ثم تأملت صورتها في المرآة وهي في فستانها البسيط الرشيق الصغير. مع أن الفستان كان بدون حمّالات للكتف إلا أن الوشاح الشفاف كان يستر كتفيها وصولاً إلى عنقها. كان الفستان يسترسل على جسدها ويتطاير بحرية مع كل حركة تقوم بها.. مرت جوليا المزهوة بشيء من التحول الجذري.. فحاذري أن تعودي في منتصف الليل إلى بيتك سندريلا.. وضحكت ثم التقطت حقيبتها الصغيرة وخرجت لتنضم إلى بيرس وغاستون.

ترددت جوليا قليلاً أمام مدخل المقهى، ثم اختفت وراء شتلة مطاط

www.alkottob.com

ضخمة. كان الرجلان غارقين في النقاش، وبدا بيرس أشد اسمراراً من السابق بعد قضائه الظهيرة تحت أشعة الشمس، وقد زاد في إبراز اسمراره بذلته البيضاء التي سبق أن ارتداها في حفلة ليديا. كان الفرنسي الأصغر حجماً يومىء بيديه للتركيز على نقطة ما في حديثه. بدا في غاية الأناقة بسترته السوداء وبسرواله الأبيض. رأت جوليا بيرس ينظر إلى ساعته، ثم ينظر بنفاذ صبر إلى المدخل، ولكن حالما لمحها تغيرت تعابير وجهه وعمها الدفء فسارع بين الناس المحتشدين إليها والابتسامة تلوح على وجهه وقد تركتها هذه الابتسامة مخطوفة الأنفاس.

قالت بتوتر:

ـ لقد قصصت شعري.. أيعجبك؟

سحب نفساً عميقاً:

ـ تبدين.. أحاول أن أجد كلمة مناسبة، ولكن ربما ليس هناك من كلمة محددة تناسب صورتك.. سأكتفي «بالساحرة»، خاطفة الأنفاس، الخلابة والمذهلة.. وهذا غيض من فيض. فلننضم إلى غاستون.. لِم قصصت شعرك؟

شبكت ذراعها بذراعه بمرح:

ـ الطقس حار، وقد سبب لي شعري متاعب أنا بغنى عنها فأحسست فجأة برغبة في التغيير، أيعجبك؟

ـ فاتن جداً. لكنني سأفتقد إلى تلك الضفيرة الكبيرة التي كانت تسترسل على ظهرك.

عندما انضما إلى غاستون، رفع يدها إلى شفتيه:

ـ بيل جوليا.. كوم فوزيت شارمان! ما هذا الفستان البهيج! لقد أمضيت وقتاً ناجحاً بعد الظهر، أليس كذلك؟

ضحكت جوليا ثم ارتشفت قليلاً من عصير الأناناس والصودا الذي أعطاها إياه بيرس:

ـ لقد أصبت بوصفك إياه بالناجح.

التفتت إلى بيرس:

www.alkottob.com

ـ كان يجب أن ترى المحلات، إنها تغري النفس إلى حد الخطيئة.. اشتريت هدايا رائعة لعائلتي، وأحسست بإغراء شديد حين شاهدت هذا الفستان فاستسلمت له بدون أقل مقاومة.

تمتم بيرس وفمه على طرف كأسه، يبتسم بسخرية:

ـ ليس من عادتك التهور. ولكن هذا الفستان لم يصنع ليبقى بدون أن يراه أحد، لذلك سنصحبك بعد العشاء إلى الرقص.. أنا واثق أن غاستون يعرف نادياً ليلياً يناسبك جوليا.

ـ كل تأكيد، ولكن يا أولادي فلنذهب أولاً إلى «لوبيك فان» لأن مالكه صديق قديم.

رافقهما الفرنسي إلى سيارته، وانطلقوا إلى الجهة الأخرى من كوياكوبانا. وبعد وقت قصير، كانوا جالسين في مطعم في حجيرة فوق مقاعد طويلة جلدية أمامها طاولة مدثرة بغطاء أحمر وأبيض عليه شموع مضاءة وُضعت في شمعدانات زجاجية.. كانت لائحة الطعام ضخمة ولكنها مكتوبة بخط اليد.. وأكد لهما غاستون، ان كل شيء يطهى طازجاً عند الطلب. بعد مشاورات مطولة اختارت جوليا سمك السلمون المدخن كمقبلات أما الرجلان فاختارا السحار. أما الوجبة الرئيسية فكانت مؤلفة من لحم العجل مع صلصة.

كان غاستون طوال الوقت يوجه نظراته المتسائلة بين جوليا وبيرس.. بعد فترة تقدم «رئيس الخدم» ليتأكد من أن كل شيء على ما يرام، ثم عرض عليهم القهوة.. كان الجو المرح أشبه بعباءة دافئة يحيط بهم، عندما قرروا المغادرة ودّعوا رئيس الخدم وتوجهوا إلى سيارة غاستون الذي اصطحبهما إلى ملهى «كارليتو» وهناك نزلوا درجاً منحدراً وصولاً إلى غرفة صغيرة مظلمة حارة ومكتظة بالناس.

تنهد بيرس حين جلسوا على طاولة صغيرة كادت لا تتسع لأكواب العصير التي طلبها غاستون.. وقال بيرس:

ـ لا أظنني قادراً على شرب المزيد بعدما قدمه لنا أولئك البرازيليون في «لاغوا آزولا» ظهر اليوم.. يا إلهي جوليا، كان يجب أن تتذوقي الشراب

الذي قدموه لنا.. ما اسمه غاستون؟

- اسمه «بينغا».

ضحكت جوليا: «وهل أعجبك يا غاستون»؟

- شيري.. أنا مضطر بحكم عملي للمشاركة بغداء أو بعشاء عمل، وبعد وصولي إلى الريو بوقت قصير اكتشفت أن بالإمكان أن أفي بالتزاماتي بدون أن أتناول شراباً لا تستسيغه معدتي.. ولكنني الليلة سأتجاوز هذه القاعدة.. يقدمون هنا كوكتيلاً لا يقدّم في أي مكان آخر.

استدعى الساقي وطلب الشراب.. كانت مقاعدهم نظراً لحجم الطاولة الصغير ملتصقة ببعضها، للضرورة.. ولكن جوليا أحست بأن بيرس يحاول أن يلصق ساقه بها متعمداً كما شعرت به يلقي ذراعه وراء كرسيه حتى يكاد يلمس بها كتفيها.

- هل استمتعت بعد الظهر؟

عندما تكلم داعبت أنفاسه عنقها بحرارة فتنهدت بسعادة.

- آه بيرس، كان رائعاً.. مع أنني ترددت كثيراً في قص شعري. وأخشى أن أكون قد أنفقت مالي كله أيضاً.

- هذا ما كنت أقصده.. إن لشعرك ملمس الريش الليني اللامع ورائحة العطر المذهلة أيضاً.

استدار غاستون إليهما متجاهلاً عن قصد حديثهما الصغير:

- والآن، يا صديقاي.. جرّبا هذا الكوكتيل.. وتذوقا طعم القصب الطازج. إنه لذيذ أتوافقان؟

تكره جوليا عادة طعم عصير القصب، لكنها اضطرت للاعتراف بأن هذا الكوب المليء بعصير القصب وبعصير الحامض رائع جداً.. نظر بيرس إلى كأسه بارتياب:

- قد يكون هذا آخر ما أتناول.. أما أنت غاستون، فقد كنت ذكياً في عدم تناولك الكاشاسا بعد الظهر.

- إذن اجلس هنا واسترح حتى أراقص جوليا، فأنت توافق على ضرورة عرض هذا الفستان المذهل.

بدا بيرس أقل من مبتهج وهو يراقبهما يتحركان ببطء فوق باحة الرقص الصغيرة.. شاهدته جوليا يحدق إليهما بغضب، فحاولت الابتعاد عن غاستون أثناء الرقص.

- أنت تدفعينني عنك أيتها الجميلة جوليا. أخائفة من أن يغار بيرس؟

- لن يغار بل قد ينزعج وهذا ما تقصده من مراقصتي، ومن إظهار سحرك الفرنسي. أعتقد أنك تتحدث الإنكليزية بدون تردد متى شئت غاستون.. لذا لا داعي إلى إغوائي بكلامك الفرنسي.. فأنت تعلم أنني محصنة ضده.

برقت عيناه بخبث، قبل أن يتظاهر بالسذاجة المبالغ فيها.

- لكن.. جوليا، أنت شابة فاتنة جداً وحولك جو مميز.. كيف أعبر عنه، نعم إن حولك هالة من الحزن تثير الرجال برغبة في حمايتك.. وهذا ما لا يقاوم أبداً.

- هذه الهالة التي تحدق بي غير مقصودة ولكن شكراً أيها السيد، وأظن أن حول بيرس أيضاً هالة من الحزن. فلنعد إلى الطاولة.. وشكراً لك على الرقصة.

وفيما كانا يتقدمان سارع بيرس بالوقوف وأمسك جوليا من يدها ليقودها بدون كلمة إلى الرقص ثانية. وفي هذا الوقت كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً هادئاً مؤثراً. تحركا ببطء، ذراعه تحتضن جسمها وذراعاها معلقتان بعنقه همست له:

- أعرف هذه الأغنية بيرس.. ما اسمها؟

- إنها أغنية قديمة.. اللحن الرئيسي في «بلاك أورفيوس» فيلم برازيلي قديم، أتذكرينه؟

هزت رأسها ثم ألقته على كتفه، مستسلمة للموسيقى ولعناقه.. توقفت الموسيقى، حين رفعت رأسها قال لها:

- أظن أن الوقت حان للعودة إلى الفندق.. لقد تأخر الوقت.

حين وصلوا إلى «أوربويراتو» توقفت جوليا أمام المدخل المظلم ومدت يدها إلى غاستون تشكره على الأمسية الممتعة فقبّل يدها، ولكن عندما التفتت إلى بيرس تودعه أيضاً أبدى الفرنسي دهشة. أما بيرس فتحجّر

www.alkottob.com

وجهه فوراً وقال:

ـ تصبحين على خير جوليا.. ولا تنسي أن غاستون سيصطحبنا في السادسة صباحاً.

وعدته بأن تكون جاهزة في الوقت المحدد ثم اتجهت إلى المصعد تلوّح للرجلين. ابتسمت بخبث لنفسها وهي تدخل إلى غرفتها، فهي لن تسمح لبيرس لقاء أي شيء في الدنيا بالدخول إلى المصعد معها أمام عيني الفرنسي الماكر.

علقت فستانها بعناية وحب.. ثم راحت تفكر في الأمسية التي تمتعت بها كثيراً رغم اهتمام غاستون بها ولكنها تعرف انه يفعل ما يفعل ليثير غيرة بيرس لا ليسحرها. ولقد نجح.. بعد الحمام، قررت توضيب الهدايا، ثم قررت كذلك أن توضب ملابسها.. وكادت تنتهي من هذا حين سمعت طرقة هادئة على الباب جعلت ظهرها يقشعر ويتصلب. وتكررت الطرقة فتقدمت إلى الباب لتسأل بحذر من الطارق.

ـ هذا أنا.. غاستون.. لحظة من فضلك جوليا.

فتحت الباب مترددة، فتقدم إلى الغرفة مبتسماً:

ـ لا تنظري إلي بريبة شيري.. وجدت هذه حين عدت إلى السيارة.

أعطاها حقيبتها ببرود رسمي:

ـ كان لطفاً منك أن تعيدها إليّ.. كان بإمكانك تركها في مكتب الاستعلامات أو تركها معك حتى الصباح.

بدت البراءة على وجهه:

ـ لكن ربما فيها ما هو ضروري لك. أعطني قبلة صغيرة كمكافأة فأنسحب.

أحست جوليا بغضب بارد يجتاحها:

ـ بالله عليك غاستون.. ليس هنا أحد لتتظاهر أمامه. شكراً لك على الحقيبة، والآن اذهب أرجوك.

ولكنه لم يتحرك بل جلس على ذراع أحد المقاعد يلوّح بساقه ويقول بخفة:

ـ على أي حال شيري، كانت سوزيت زوجتي تحب بيرس القوي الصامت.. كانت تجده جذاباً، ولم تفعل شيئاً لإخفاء هذا الواقع أبداً.. أظن من العدل أن أسرق قبلة صغيرة من صديقته العزيزة.. للتعويض.

هبّ عن المقعد فجأة ليمسكها بذراعيها، وليحني رأسه نحوها. لكن، قبل أن يتمكن من القيام بشيء آخر، انتزعت يد حديدية جوليا من قبضة غاستون، ورفعت نظرها برعب، فرأت أن بيرس دخل من الشرفة، وهو يرتدي روباً قصيراً. كان وجهه قرمزياً من شدة الغضب عندما صاح بالفرنسي:

ـ أخرج من هنا غاستون قبل أن يغلبني غضبي وأخرجك بقبضتي!

رفع الرجل يديه برشاقة ونظرته المتفهمة تنتقل من روب بيرس إلى ثوب جوليا الحريري..

ـ مهل باردون.. لم أتوقع أن أجد نفسي متطفلاً.. تمتعا بالنوم أطفالي الى الغد.

ثم انحنى انحناءة ساخرة وغادر الغرفة ولكن لم ينس أن يغلق الباب وراءه بحذر مبالغ فيه.

ساد صمت متوتر غير لطيف بعد رحيله. نظرت جوليا بحذر إلى بيرس تريد الدفاع عن نفسها بشرح ما جرى قبل قليل ولكنها لاحظت أن بيرس يبدو مرهقاً إرهاقاً لا يكاد معه يقوى على الوقوف تقريباً وبادرت إلى الهجوم:

ـ كان بإمكاني الخلاص من زائري غير المرغوب فيه بلا مساعدة. لماذا اقتحمت غرفة نومي بشكل درامي هكذا؟

قال ساخراً:

ـ كان يبدو لي أن المكان مفتوح للعموم. كنت على الشرفة، أتنعم ببعض الهواء النقي حين سمعت الأصوات. أحسست بضرورة التحقق في حال وجود أمر ما.. سامحيني إن كنت قد قاطعت لقاء سبق أن رتبته!

ـ آه، لا تتكلم وكأنك إحدى الشخصيات في رواية عاطفية. والآن إن كنت لا تمانع، أريد أن أنام.

www.alkottob.com

- لا أظنني أحب أن أتركك خائبة الأمل «شيري». . فإن كان مزاجك يسمح بقليل من العبث، فسأكون أكثر من سعيد بأن أكون البديل.

ارتدت جوليا إلى الوراء وعيناها واسعتان من الارتباك ولكنه بحركة واحدة سريعة أوقعها بين ذراعيه اللتين أصبحتا يدين من حديد عندما راح يجذبها إليه.

بدأت جوليا تتلوى وتقاوم بطريقة ممتعة وأخذ الذعر يستولي عليها. دفعته في صدره بقوة فتلقت ضحكة خالية من الرحمة أرعبتها. راحت تضربه بجنون لتكسب لحظة من الراحة ولكنها سمعت صوت تمزق في فستان نومها الرقيق. تأوهت بخوف خاصة وهو يمسك كلتا يديها بيده.

قالت بتوسل وخوف من حرارة المشاعر التي حولّت عينيه إلى سائل أزرق:

- بيرس. . أرجوك!

- علام تتوسلين يا حلوتي؟

كان الصوت العميق قد فقد نعومته، وأصبح شهيقاً مقطوع النفس، وكانت يداه تشدانها إليه بقسوة وكأن الغيرة والغضب أعمياه عن كل شيء فأصبح رجلاً غريباً شريراً.

- لن أتحمل المزيد من هذا التقلب بين الحارّ والبارد. . أنت تتعمدين إثارتي مع ذلك الفرنسي اللعين. . وأنا الآن سآخذ المبادرة بيدي.

- بيرس. .

قامت جوليا بآخر محاولة تعقل معه ولكنه كان قد تجاوز كل حدود التعقل. راح صوت صغير في رأس جوليا يكرر برتابة:

«لا. . ليس هكذا. . أرجوك ليس هكذا. .» ولكنه حملها إلى السرير الذي ألقاها عليه بخشونة فأسرعت إلى الجهة الأخرى لكن يداً رادعة أمسكت كتفها وأدارتها بقوة إليه ثم رفع كلتا يديها فوق رأسها.

فكرت جوليا إن هذا لا يحدث فعلاً. فجسدها الخائن أراد أن يستجيب بعنف، للمعاملة الخشنة التي يتلقاها، لكن فيما كان يقترب منها بادرته بركلة إلى الأعلى فاجأته بها. . في الجولة الثانية من المعركة سمعت صوت

طقطقة مخيفة، صوت تمزق، وما هي إلا هنيهة حتى تهاوى السرير تحتها. استلقيا برهة بصمت تام، ثم هبت جوليا من بين ركام السرير وأسرعت إلى روبها تدثر به جسمها والتفتت إلى بيرس الذي كان مستلقياً مذهولاً يتطلع إلى الحطام حوله وعلى وجهه تعابير غريبة. كان السرير عكس مثيله الإنكليزي يتألف من فراش يُوضع فوق ألواح خشبية يسندها إطار خشبي، مع لوح أمامي ولوح خلفي وهذا ما جعله يتهاوى فهو لم يتحمل الضغط الذي تلقاه.

لا شك في أن التعقل والتفكير السوي قد عادا إلى بيرس حالاً. وأمام غضب جوليا بدأت كتفاه تهتزان فقد انهار أمام ضحكات لا حول له فيها ولا قوة، وطفقت دموع الضحك تتدفق على وجهه.

قالت جوليا بصوت بارد كالثلج.

- أرجو ألا تعتبرني بلا كياسة إن امتنعت عن مشاركتك مرحك! والآن هل ستكون لطيفاً فتعود إلى غرفتك لتبقى فيها ما تبقى من الليل؟

سيطر بيرس على نفسه بجهد جبار، ثم حوّل اهتمامه عن السرير فتلاشى المرح من عينيه ولما نظر إلى ثوبها الممزق تحت الروب الرقيق اشتعل القلق في عينيه فخلل أصابعه في شعره:

- لا أدري في الواقع كيف أبدأ اعتذاري جوليا. . ولكن أولاً، أنا آسف على تمزيق ثيابك. . سأعوضك عنها بالطبع.

ردت جوليا بمرارة:

- أوه. . لا تعتذر لي. . أما التعويض فليكن من نصيب ليديا لأنها هي التي أقرضتني هذه الثياب.

- يا إلهي!

- لا فائدة من الاستغاثة بالله في هذه المرحلة. والآن. . أرجوك. . اخرج من هنا حالاً!

- اسمعي جوليا نامي في سريري أما أنا فسأنام على إحدى الأرائك هنا.

- أتظنني بلهاء إلى هذا الحد؟ أخرج إلى حيث تنتمي، وسأنام أنا على الأريكة. . علماً أنني لا أظن نفسي سأجد للنوم سبيلاً. سأكون مشغولة جداً في محاولة تجميع ما يكفي من معرفتي للبرتغالية لشرح سبب تحطم السرير.

www.alkottob.com

اتجه بيرس إلى الباب المفضي إلى الشرفة، ثم ارتدّ على عقبيه قبل أن يصل إليه وملء وجهه اعتذار متعمد.

- إن كنت ستلقين اللوم على هذا السرير بعنف حبيبتي فقد أشك في أنك ندمت على انهياره، حين انهار.

بعد خروج بيرس وقفت جوليا عدة لحظات مغمضة العينين قابضة اليدين وكان رأسها وجسدها في عذاب مماثل، ففكرت بوحشية: اللعنة على كل الرجال!.. رمت الوسادة والأغطية على الأريكة.. لن تفكر في رجل بعد الآن، هذا إن استطاعت! ولكن هذه الفكرة لم تدفع النوم إلى جفنيها.

* * *

٩ - عد إليّ

كانت رحلة العودة إلى الوطن أمراً فضلت جوليا أن تنساه وقد ساعدها الحظ فلأن الطائرة اكتظت بالركاب لم يتسن لبيرس أن يجلس قربها. ما إن انطلقت الطائرة حتى استندت إلى ظهر مقعدها مغمضة العينين مرهقة ولعل أهم ما سبب أرقها وإرهاقها شرح أمر السرير المحطم للخادمة الدهشة أولاً ومن ثم للمدير المهذب. تمت الرحلة إلى المطار في ما بعد بصمت مطبق من جهتها، مع أن بيرس وغاستون تبادلا الحديث، وكأن شيئاً لم يحدث ليلة أمس.. وقد عمدت إلى مواجهة تودد بيرس ببرود وبعدم اكتراث دفعاه أخيراً إلى أن يلوذ إلى صمت مطبق يشبه صمتها.

وصلا في وقت متأخر من مساء السبت فاستقبلهم طقس انكلترا المشبع بالضباب. ارتجفت جوليا عندما مرّا بالجمارك ولكن بعدما انتهت المعاملات وبعدما وُضعت الحقائب في البورش المنتظرة في موقف المطار شعرت جوليا بالبرد يحرق عظامها. فكان أن رمى بيرس حراماً على حجرها بدون أن يعلق ولو بكلمة فتدثرت به ثم انطلق بالسيارة إلى خارج منطقة المطار وصولاً إلى الطريق العامة باتجاه الميدلاند.

لم يحاول بيرس أن يسأل إلا ذاك السؤال المتعلق بإن كانت تشعر بالدفء. وكانت جوليا شاكرة لهذا، ولكنها جلست حزينة في السيارة الجبارة التي كانت تطوي الأميال. كانت تحس بصداع قوي وبخوف من أن تصاب بالرشح. كان عليك ألا تغادري بلادك! ورفعت رأسها تنظر إلى بيرس.. بعد أن سألها إلى أين تريد الذهاب أوقف السيارة أخيراً أمام شقتها في «كلارنس» وساعدها على الخروج، ثم حمل حقائبها حتى الباب أما هي فجرت قدميها وهي تمسك كيساً كبيراً مليئاً بالطائرات الورقية. أخذ

www.alkottob.com

بيرس المفتاح منها ووضعه في القفل، ثم التفت ينظر إليها.

- أتصور أن لا فائدة من الاعتذار مرة أخرى على تصرفي الذي بدر مني ليلة أمس. لم أكن واعياً لتصرفاتي مع أنني أعلم أن هذا العذر واهٍ.

- لتنسَ الأمر كله.. امحه من السجلات.

أحست جوليا بحرج حقيقي. فانحنى إليها وكأنه يريد تقبيلها ولكنه استقام بحدة عندما رآها تتراجع بطريقة لا إرادية.

- ليس بيننا ما يقال إذن جوليا.. أراك صباح الاثنين.

هزت رأسها إيجاباً ثم فتحت الباب لتدخل فأطلت السيدة هيكنز من فناء المنزل الخلفي تصيح دهشة لرؤية جوليا.

- تبدين مرهقة حبي.. هل أمضيت وقتاً ممتعاً؟ أظنك قد تعرضت للشمس قليلاً، أكانت الرحلة متعبة؟

تركت جوليا نفسها بين يدي هذه المرأة فجلست في مطبخ صاحبة المنزل ممتنة لها وراحت تأكل ما قدمته لها من الحساء والبيض المقلي والشاي القوي بعد ذلك قدمت لها مناديل الشاي وغطاء الطاولة التي اشترتها وتمنت لها ليلة سعيدة. عندما أصبحت في جناحها توقفت لتسخن الماء لتضعه في الكيس البلاستيكي الذي تريد أن تضعه في فراشها سعياً للراحة والنوم. ولكن صوتاً لجوجاً راح يوبخها على غبائها لأنها لم تسمح لبيرس بأن يفعل بها ما يشاء ليلة أمس، فغضبت على نفسها لأن هذا ما كانت تريده فعلاً.

ذهبت جوليا إلى «تولمارستون» في الصباح التالي فأوصلت هداياها التي تلقوها بانفعال ملحوظ وعندما أرادت الاختلاء بليديا وجدت صعوبة. بعدما ألقت عليها شقيقتها نظرة امتنعت عن أن تسألها عما يشغل بالها واكتفت أن سألتها عن الرحلة إن كانت موفقة. عند انتهاء الزيارة أقلها هنري اللبق بسيارته وأعطاها نصائح لتعالج به رشحها، ثم عانقها بسرعة قبل أن يتركها، وفي المنزل ابتلعت بضع حبوب دواء وشربت الماء ثم دست نفسها في الفراش تطلب الدفء والعرق لتتخلص من بؤسها الجسدي والنفسي.

عندما وصلت إلى مكاتب هارتويل وويكهام صباح يوم الاثنين كانت

فرائصها ترتعد خوفاً من مواجهة بيرس مع أنها عندما خرجت إلى الشارع تمنت لو يكون منتظراً ليقلها معه إلى الشركة وهذا ما لم يحدث. في الشركة أبدى الجميع استحسانه لمظهرها الجديد فقد اجتذب شعرها اهتمام العديد من الموظفين وتنهدت إيملي على مكتبها تحسد جوليا على الرحلة التي قامت بها وقد رفضت أن تتضاءل حماستها بعد أن سمعت جوليا تستهين بالرحلة.. كانت أوليفيا تنتظر في مكتبها فتلقت جوليا منها الاهتمام ذاته غير أن عينيها الثاقبتين لاحظتا الظلال تحت عيني جوليا:

- أمضيت وقتاً مرهقاً، كما أرى. ولكن لا تتوقعي منا إبداء الشفقة وأنت قد قمت برحلة إلى بلاد أجنبية! أكانت رحلة مذهلة؟

ابتسمت جوليا ابتسامة باهتة:

- نعم كانت مذهلة، والآن أعاني من الرشح.

- أرجو ألا تكوني قد تعرضت لعمل شاق أوليفيا.

ردت أوليفيا بحبور:

- أبداً.. تركت لك بعض المراسلات أما ما سوى ذلك فكان غير صعب. حسناً يجب أن أكمل عملي.. أراك لاحقاً.

قامت جوليا بجهد مقصود لتغرق نفسها في أتون العمل. راحت أصابعها تقفز البريد بشكل آلي، ولكن أذنيها كانتا مشنفتين بانتظار سماع صوت أو رنين، أو أي حركة من المكتب المجاور. صعب عليها أن تبعد ناظريها عن الباب المشترك، وتقلصت معدتها بألم حين انفتح أخيراً. ولكن من وقف فيه كان لوقيل هارتويل العجوز الذي ابتسم لها ابتسامة حقيقية. فهبت واقفة ومشاعرها تتأرجح بين الراحة وخيبة الأمل.

- سيد هارتويل! ما أجمل رؤيتك معافى!

- مرحباً عزيزتي.

أمسك بيديها ينظر إليها متفرساً:

- ليتني أستطيع قول الشيء نفسه عنك. لونك أشدّ اسمراراً بسبب شمس أميركا الجنوبية ولكنك أنحف يا فتاة، هذا دون ذكر الدوائر القاتمة حول عينيك.

www.alkottob.com

تورّد وجه جوليا تحت نظرته المتفحصة، وابتسمت:

- هبوطي من السماء إلى الطقس البريطاني أصابني بزكام مزعج. وقد أمضيت أياماً مرهقة في الريو، مع أنني واثقة من أنك سعيد بالنتيجة.

- إن خبر مشروع بناء الفندق كان ساراً. ولكن بيرس بدا كأسد محبوس في قفص، وها أنت تبدين كشبح لوحته الشمس. لا شك في أن هناك ما هو غير سوي.

عاد لوقيل ينظر إليها متأملاً، ثم أردف:

- فكرت أنغريد أن عليّ المجيء بنفسي.. لا تنظري إليّ كفرس مذعورة. اضطر بيرس للسفر إلى لندن باكراً. إنهم بحاجة إليه مدة يوم أو يومين. ما الخطب جوليا؟ لاحظت أنك وبيرس على وئام بعد تلك البداية المشبعة بالجفاء.

- لا شيء حقاً.. إن السبب السفر وما يجلبه من إرهاق والحياة الرغيدة التي لم أعتد عليها، أما في ما يتعلق ببيرس فلا أجد رداً.

صاح صوت في داخلها كاذبة! وأكملت:

- هل ستبقى لتساعدني اليوم سيد هارتويل؟

- لا.. كما أخشى.. سمحت لي أنغريد بساعة فقط.. إنها تراقبني كالصقر.. ألا تظنين أنني أفقد بعض الوزن؟

ضرب على معدته باعتداد:

- أثقل طعامي الخس، وأخفه البطاطا. ولقد نجحت، يجب أن أعترف.

ردت صادقة:

- تبدو رائعاً.. وهذه دعاية كبيرة لعناية السيدة هارتويل واهتمامها بك.. انقل إليها حبي وتحياتي.

- كلامك المهذب أشبه بأمر بالانصراف يا فتاة..

برقت عينا العجوز كعيني ولده.. وتابع:

- أعرف أن أمامك عملاً جماً، وسأكون مهتماً بقراءة التقرير البرازيلي بعد اطلاع بيرس عليه.. والآن يا فتاتي، عالجي هذا الرشح.

www.alkottob.com

لوّح بيده الضخمة ثم غادر المكان تاركاً جوليا لعملها الذي ينتظرها.

شعرت ببعض الراحة لأنها لن تضطر إلى مواجهة بيرس، على الأقل في الوقت الحاضر. في الأيام القليلة التالية عانت من صداع مؤلم ومن تعطيس عنيف ومن قلة النوم بسبب أنفها الذي لم يستطع سحب الأنفاس اللازمة ولكن السبب الأهم هو ألم القلب المشتاق إلى بيرس. نهاراً كانت قادرة على إبقاء شوقها هادئاً بالعمل ولكنها كانت كلما سمعت رنين الهاتف ترد بشوق متوقعة سماع الصوت العميق المألوف.. ولكن بيرس ظلّ صامتاً وراح بؤسها يزداد مع مضي الأيام.

كانت شهيتها للطعام قد تلاشت كلياً فأبدت السيدة هيكنز قلقها. وأصرت على أن تقوم نيابة عنها بشراء حاجياتها وبصنع الليموناده لها. أما ليديا فراحت ليلياً تتصل بها وتتوسل إليها أن تلزم المنزل والفراش وتترك العمل. ولكنها رغم رغبتها في الاستسلام وفي إطاعة أوامرها كانت مصممة على إنهاء التقرير البرازيلي. إضافة إلى عملها الروتيني الذي تمكنت من إنهائه. وعملت بعناد، عندما حل صباح الخميس، كانت أسوأ مرحلة من مراحل زكامها قد تلاشت، ولكنها تركتها فاترة الهمة، راغبة عن الطعام.. لم تكن قادرة على مواجهة أكثر من فنجان قهوة قبل الذهاب إلى المكتب، أما وقت الغداء فكانت ترفض بتصميم كل محاولات أوليفيا لجرها إلى المطعم.. وكانت تكتفي بفنجان شاي وبقطعة بسكويت تأكلها على مكتبها. ولكنها ذلك المساء عادت إلى المنزل بعدما أنهت نسخة غير نهائية عن التقرير البرازيلي، الذي أصبح جاهزاً ليقرأه بيرس، متى اختار الظهور.

كان هدفها الوحيد قبل أن تصل إلى الشقة أن تنهار على الأريكة وتتناول حساءً وسندويشاً أمام أي برنامج تلفزيوني مهما كان سخيفاً. ولكنها حينما وصلت وبعدما نزعت ملابسها، تملكها إحساس قلق.. ولم تعد في مزاج للجلوس على الأريكة طلباً للراحة فارتدت بنطلون جينز قديم وتي شيرت، ثم قررت تنظيف جدران المطبخ وهو عمل كانت تؤجله باستمرار منذ وقت طويل.. نزلت إلى الطابق السفلي لتستعير سلماً من السيدة هيكنز التي أبدت معارضة شديدة.

www.alkottob.com

أحدث الفرك العنيف والغسل النتيجة المرجوة. ولكن، سرعان ما عاد تفكيرها إلى بيرس.

فكرت بإحباط أن لا طائل من تجاهل الأمر! مهما فعلت سيعود تفكيري إلى بيرس.. بيرس.. بيرس.. وكأنني تلميذة تقع في الحب لأول مرة. ربما هنا تكمن المشكلة، فهي لم تعان في مراهقتها من الحب. أما باتريك فكان رفيق طفولتها، وتحول بشكل طبيعي إلى حبيب قلبها.. ولم تشعر بالعذاب الذي كانت تعانيه زميلاتها في الكلية، والذي كن يعتبرنه جزءاً ضرورياً من الحياة. أما حياتها فتمزقت إرباً في وقت كان أترابها يتدرجون للازدهار الكامل لمعرفة حقائق الحياة... لقد حل بنضوجها صاعقة جعلت مشاعرها تعيش حبيسة في نفسها فقد كانت تخشى أن تعاني من جديد من الألم والأذى.

أعادت جوليا ملء الدلو بالماء والصابون النظيف، وعادت ترتقي الدرج لتهاجم سقف المطبخ. يصعب أن تصدق أنها منذ شهر واحد كانت تعيش حياة منظمة مرتبة، لا يكدرها سوى تلك المشاعر التي تكتمها لليديا وعائلتها. كان بيرس هارتويل مجرد اسم لابن رب عملها، وليته بقي كذلك! نزلت عن السلم لتحركه نحو قسم جديد من السقف.. لم يكن ما كانت معتادة على التفاخر به من الاتزان وضبط النفس سوى جبن تام. كان خوفاً من أن يقترب أحد لهز الحاجز الذي أمضت ست سنوات في بنائه ولكن بيرس دمره منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناها عليه. آه، اللعنة!.

كان سبابها بسبب دخول الصابون إلى عينها عندما عصرت ممسحة التنظيف.. هذا يكفي.. نزلت عن السلم وأبعدت الدلو ثم فرشت الممسحة لتجف..

ثم صبّت اهتمامها على الطعام. سأتمتع بالأكل مرة أخرى. تفحصت محتويات البراد بقرف.. ولكن كان عزاؤها الوحيد أن التقرير البرازيلي جاهز وهو بانتظار عودة بيرس، هذا إذا عاد. ثم تسمَّرت جوليا فجأة فقد عنت على بالها فكرة مزعجة.

إن الوثائق السريّة تحفظ في خزائن الشركة، أما التي يحتاجونها في

الوقت الحالي فهي في درج في طاولتها. ولكن ماذا عن التقرير البرازيلي؟ أحست بقلبها يغوص لأنها خشيت أن تكون قد تركته عرضة للأنظار.. فكرت مذعورة وكانت كلما أمعنت التفكير أكثر كلما شعرت بالقلق. أخيراً تنهدت إحباطاً، ومررت فرشاة فوق شعرها، وارتدت سترة حمراء واقية من المطر، ثم اتصلت لتحصل على سيارة أجرة. نزلت إلى الأسفل لتقول للسيدة هيكنز عن المكان الذي ستذهب إليه. بعدما أقلها التاكسي إلى شارع «ويست غايت» دخلت إلى المكاتب المظلمة وهي تحس بالقلق، فالمبنى في النهار لا يبدو مهجوراً كما هو حاله الآن. ارتقت الدرج على أطراف أصابعها ولم تضيء سوى مصباح واحد.

عندما وصلت إلى المكتب أضاءت المصباح الرفيع على طاولتها، وتفقدت أدراج مكتبها فإذا هي جميعها مقفلة كالعادة، وحين فتحت الدرج المخصص للوثائق الهامة، وجدت التقرير البرازيلي، آمناً سالماً. أعادت وضعه في الدرج وأقفلته، تلعن نفسها بسبب غبائها. عندما مدت يدها لتطفيء المصباح سمعت صوتاً خفيفاً جعلها تلتفت بسرعة مذعورة.. كان طيف مجهول يقف بالباب المظلم فصاحت صيحة رعب وقد بدا لها أن الدم قد جف في عروقها ثم وقعت على الأرض مغمى عليها.

حين فتحت عينيها ببطء، كان الشيء الوحيد الذي ملأ نظرها، وجه بيرس الحاني رأسه فوقها بقلق وعذاب. وعندما رأى نظرة الفرح التي لم تخفها في عينيها سحب نفساً طويلاً مضطرباً، وأحنى رأسه يقبل رأسها ثم تمتم بحب بين خصلات شعرها:

ـ ماذا تفعلين هنا في مثل هذه الساعة بالله عليك؟ ظننتك لصاً مقتحماً.

ـ بيرس.. لا أستطيع التنفس.

أرخى عناقه عنها قليلاً:

ـ آسف حبيبتي.. لا تفعلي هذا ثانية، لقد أخفتني حتى كادت أنفاسي تزهق من بين جنباتي.

قاومت جوليا قبضته بلا جدوى، وقالت بسخط:

ـ أخفتك؟ ظننتك شبحاً أو لصاً.. ولا أدري ما الذي أخافني أكثر..

www.alkottob.com

لكن أين أنا؟

تحرك بيرس ليريحها أكثر:

- أنت في حضني وأنا على الأرض قاعد وإلى طاولتك ظهري وبين ذراعي قدك الرشيق.

- يا لهذه البراعة! كان يجب أن أعرف، والآن لماذا أنت قاعد على الأرض! ومتى وصلت من لندن؟

- لقد أمسكت بك عندما كنت تهوين إلى الأرض وقد وصلنا إلى الأرض كما ترين الآن، أما بالنسبة لرجوعي المفاجيء من العاصمة، فقد كنت أعمل كالمجنون، لأعود إلى هنا في أسرع وقت يستطيعه بشر. والآن، انهضي لأرى ما إذا كنت قادرة على الوقوف بمفردك.

أنزلها عن حضنه ثم هبَّ واقفاً ولم يلبث أن مد لها يديه ليجذبها. فأحست بساقيها وكأنهما مصنوعان من القطن الرقيق.. لكن رأسها توقف عن الدوران بسرعة ما إن استوت مستقيمة.

- اتركني الآن بيرس.. أنا بأتم العافية شكراً لك.

- ربما.. ولكنني سأبقى ممسكاً بك في الوقت الحاضر، خاصة وأنت أضعف من أن تقاومي.. أيغمى عليك عادة؟

- إنها المرة الأولى.. مع أن السبب غير غامض، فأنا لم آكل شيئاً طوال النهار بل منذ أيام عديدة.

هزها بيرس قليلاً: «ولماذا بالله عليك؟».

- منذ عدنا من الريو، أصبت برشح ثقيل جعلني أفقد شهيتي.

سحبت نفساً مرتجفاً..

- أنفي يؤلمني ولم أكن أستطيع النوم و.. و.. أوه.. بيرس!

وبدأت تنتحب بجنون على سترته:

- ما كان أشدّ بؤسي هذا الأسبوع!

ضمها إليه بذراع واحدة، ودس يده الأخرى في جيبه الداخلي ليخرج منديلاً وراح يجفف دموعها التي ظلت تتدفق.. حاول أن يجعل صوته هادئاً:

- حبيبتي.. أرجوك.. لا تبكي وإلا شاركتك البكاء. لقد كنت أتعذب مثلك تماماً بل أكثر منك، لأنني ظننتك لن تغفري لي تهجمي المسعور في الريو. لقد نعتّ نفسي بكافة النعوت الموجودة على وجه الأرض. ومعظم هذه النعوت أكره أن أكررها أمامك.. كنت أركل نفسي من هنا حتى لندن. فهل سامحتني؟

ماتت تشنجات جوليا وما أدهش بيرس سماعه ضحكة صغيرة تخرج من تحت ربطة عنقه، فأدار وجهها إليه.

- ما الذي يضحكك؟

- لم يكن اعتداؤك علي هو ما أرعبني كثيراً بيرس.. بل اضطراري لشرح سبب تحطم السرير بمثل تلك الوحشية!

ضحك بخبث:

- كان المدير يتقن الإنكليزية، وعندما طلبت منه أن يضيف ثمن السرير إلى الفاتورة لم يحرك ساكناً. على أي كان على غاستون أن يسددها، وظننت هذا سيجعله يتساءل بحيرة فترة طويلة.

استند كل منهما إلى الآخر بدون قيد.. وبعدما غادر المرح وجه بيرس انحنى يعانقها، التفت ذراعاها حوله، وتعلق كل منهما بالآخر في مواساة مريحة. بعد فترة طويلة خفف عناقه عنها.

- بما أنه أغمي عليك من الجوع، فسأصحبك إلى منزلي لتأكل شيئاً.

- بيرس، لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان وأنا على هذه الحال. كنت أغسل جدران المطبخ حين ظننت فجأة أنني لم أحكم إقفال الدرج الذي وضعت فيه التقرير البرازيلي.

- إذن هذا سبب وجودك. لقد شغلتني عن سؤالي الأصلي.. لا يهمني أبداً كيف تبدين، أرى أن عينيك حمراوان وأنفك لامع وثغرك شهي حتى الموت. فإن لم نسرع بالخروج من هنا أكملت ما بدأته في الريو!

امتلأت نفس جوليا بالبهجة لهذا الاطراء، وابتسمت له حالمة وهي تزرر سترتها الواقية من المطر.

- حسن جداً بيرس.. سأفعل ما تشاء.

www.alkottob.com

نظر إليها بحدة وفي عينيه عدم التصديق:

ـ وكأنك تعنين ما تقولين.

مدت يدها تقول ببساطة: «بالطبع أعنيه».

سحب نفساً عميقاً ثم أمسك يدها يقودها إلى خارج المكتب مطفئاً الأنوار وراءهما. طارت جوليا بسعادة فوق الدرج، ونسيت رشحها ورضيت بأن تحس بيده الدافئة تمسك يدها، ورضيت أكثر بأن تحس بأن عالمها قد أصلح نفسه مجدداً.. كان بيرس المحور الذي يدور عليه عالمها. ولا فائدة من محاولتها طمس الحقيقة أكثر من هذا. لا فائدة بكل تأكيد من خداع نفسها بعد الآن.. وكأنه أحس بما تفكر فيه، فتوقف وهما يقطعان الردهة المظلمة ليسألها:

ـ ما بك حبيبتي؟

جعلها تحفظها المعتاد تتردد في كشف مكنونات قلبها فكان أن ابتسمت بحياء:

ـ كنت أفكر في رشحي الذي اختفى فجأة منذ أغمي علي، علماً أنني لا أجد بين الأمرين علاقة.

أقفل الباب الخارجي وراءهما، وقادها إلى سيارته تحت وابل من المطر المنهمر.. أقعدها في البورش، ثم قعد وراء المقود وشغّل المحرك.

ـ أود كثيراً لو أعتقد أن هناك سبباً أكثر شاعرية جعلك تستردين عافيتك. ويجب أن أقول صادقاً إنني كدت لا أعرف سبب هذا الاستسلام المفاجيء.. هل أنت واثقة أنك على ما يرام؟

ابتسمت جوليا، تنظر برضى إلى المطر المنهمر على زجاج السيارة المنطلقة، المتأرجح أمام أنوارها الأمامية.. وأجابت:

ـ أنا مسرورة فقط برؤيتك ليس إلا. ظننتك ستتصل بي وأنت في لندن، ولكنني أظنك كنت مشغولاً.

ـ حاولت هذا مرة. وقد اتصلت بشقتك مرة، لكنني أعدت السماعة إلى مكانها قبل أن يرن هاتفك. كنت أخاف أن أسمع صوتك بارداً غير مهتم، فتركت الأمر حتى أتمكن من مخاطبتك وجهاً لوجه. يا إلهي ما كان أفظع هذا

لأسبوع علي؟

جعلها صدق نبرته تميل أيضاً للصدق:

ـ كنت كلما رن جرس الهاتف آمل أن تكون أنت.

نظر بيرس إلى رأسها المحني، وسمعته يضحك، ثم مد يده ليضعها على ركبتها:

ـ أوه.. يا لغبائنا! ألاحظ أنك قادرة على قول أشياء مثيرة في وقت لا تستطيع فيه فعل شيء.

غيّرت جوليا الموضوع بسرعة:

ـ كيف صدف أن مررت بالمكتب في هذه اللحظات؟ طريقك إلى منزلك بعيد عن الشركة.

ـ حين أعود من رحلة ما أتناول الطعام عادة مع والدي. ولكنني اتصلت بهما متوسلاً أن يسامحاني الليلة قائلاً إن شيئاً هاماً يدفعني إلى إتمامه، وجئت أراك لرؤيتك قبل الذهاب إلى المنزل.. كنت أنوي فرض نفسي على باب منزلك لئلا تكوني قادرة على رفضي. خفت أن أتصل أولاً فتقفلين السماعة في وجهي.. وفيما كنت أمر بشارع ويستغايت رأيت النور في المكتب وفكرت أن أطلع على السبب، وها نحن.

أوقف السيارة ثم قفز منها تحت المطر الثقيل ليفتح لها الباب.. كان الظلام شديداً فلم تر شيئاً خارج منزله الريفي الذي كانت واجهته ملاصقة للرصيف. ولكن فيما كان يفتح الباب على عجلة ليدخلها إلى الداخل، وقفت مسمرة تسحب نفساً عميقاً إعجاباً بما رأت حين أضاء النور فرأت ما في الداخل.

كانت الجدران الداخلية قد أزيلت ليحل محلها طابق أرضي أصبح غرفة جلوس واسعة جدرانها مطلية بالأبيض بحيث تنافرت مع دعامات سقف القاعة الأنيقة، وكانت الأرض مغطاة ببساط يشبه قماش «التويد» ذي لون برتقالي دافيء قاتم أكثر بقليل من ألوان الستائر الثقيلة المخملية. وفي زاوية من الغرفة موقد لها لون أحجار جبال «كوتسولد» في الميدلاند، وهذا الموقد عبية فوق مدفأة حديدية مليئة بما يشبه الحطب الذي يشتعل فيها الغاز بمجرد

www.alkottob.com

لمسة واحدة، فيشعر المرء بأنها جمر حقيقي. وعلى جانبي الموقد مغارتان صغيرتان كالنوافذ الصغيرة، بينهما عدة رفوف. وفي مؤخرة الغرفة نافذة كبيرة تحتها طاولة جلدية السطح وفوق الطاولة مصباح يدوي.. بدا واضحاً أنها زاوية يتخذها بيرس عندما يعمل. وأمام المدفأة، أريكتان من الجلد البني الفاتح متواجهتان وبينهما طاولة جلدية منخفضة.

أعطت جوليا سترتها إلى بيرس بصمت وهي ما تزال تتأمل ما حولها بذهول.. أما السلم الأصلي فأزيل واستعيض عنه بسلم حديدي لولبي يفضي إلى الطابق العلوي. وخلف السلم ستارة خشبية تقسم غرفة الجلوس عن المطبخ وعن حجرة الطعام...

سألها بيرس بعد قليل: «حسناً ما رأيك؟».

لمعت عيناها حماساً:

ـ لم تكن لدي فكرة أن المكان على هذه الروعة. تصورت ألواح السقف بالطبع ولكني تصورت أن في كل مكان نحاساً وقماشاً ملوناً.

ابتسم:

ـ كان في المنزل نحاس وقماش ملوّن.. فبدا يشبه العالم القديم بجدرانه الأصلية، وبالنحاس الموجود في كل مكان، وبالأثاث المغطى بالقماش الملون، ولكنني قررت أن أتخلى من كل شيء لأحوله إلى ما أريد.. هل أعجبك؟

ـ وكيف لا يعجبني! وهل التقسيم هو ذاته في الطابق العلوي؟

ـ تقريباً.. كان فيه غرفة صغيرة فوق المطبخ حولتها إلى حمام، وغرفة النوم جعلتها غرفتين صغيرتين.. لا أقصد أن أعرض عليك رؤيتها الآن.. فما حصل لنا في غرف النوم لا يسرّ النفس حتى الآن.

ضحكت جوليا فأردف:

ـ فلأرك المطبخ عوضاً عنها. ألن ترغبي في ما نأكله؟

فتشا في البراد فوجدا أن السيدة هارتويل قد ملأته بالحاجيات إلى أقصى حد. كان هناك قطع روستو وكتلة لحم جاهزة للتقطيع، وسلطة جاهزة للخلط وبطاطا مسلوقة باردة. نظر بيرس إلى الطعام بذهول، ثم نظر إلى

www.alkottob.com

جوليا:

- يا إلهي أتظن أمي أنني قادر على فعل شيء بهذا كله؟

ضحكت: «يا لك من رجل عاجز..! أعطني مقلاة وسأطهو لك بعض البطاطا واللحم».

وضعت المقلاة على النار ثم أردفت:

- ثمة حساء منظره يغري النفس، حساء بصل فرنسي.. حضر الطاولة فيما أحضّر الطعام.

استطاعا في وقت سريع أن يتناولا أفضل وجبة أكلتها جوليا في حياتها. وظهر في البراد، بعد فراغه الجزئي، إحدى فطائر التوت البري التي تشتهر بها السيدة هارتويل، فقعدا متقاربين قدر الإمكان فوق مقعد خشبي طويل يقبع أمام طاولة صغيرة من خشب الصنوبر.. كان الحديث سريعاً سهلاً حين بدأ بيرس يصف أسبوعه في لندن، ويستعلم عن العمل وعن التقرير البرازيلي في مكتب الميدلاند.

أخيراً أستدت جوليا ظهرها متخمة.. ونظر إليها بيرس بتسامح وهي تربت معدتها.

- أتشعرين بالتحسن الآن؟

- إنها ألذ وجبة ذقتها في حياتي كلها بيرس، شكراً كثيراً لك. لم يكن لدي فكرة عن مدى جوعي حتى بدأت بتناول الطعام. تعال، لنغسل الصحون.

وقف بسرعة يهز رأسه بحزم:

- ليس الليلة.. سأضع ما تبقى من طعام في البراد، أما الصحون فسأضعها في المغسلة، وليس عليك إلا أن تتوجهي إلى المسجلة لتضعي شيئاً فيها وفي هذه الأثناء أعدّ أنا إبريق القهوة الكهربائي.

لم تحتج جوليا، فرغبات بيرس الليلة أوامر. وبينما كان يحضر الفناجين كانت تفتش عن المسجلة ولم تجدها.

- أين المسجلة بيرس؟

- أترين ما يبدو لك صندوقاً من عهد الملكة آن، قرب النافذة الصغيرة!

www.alkottob.com

إنه في الواقع صندوق يحتوي على معدات «الهاي فاي» والجواريز مزيفة، أما الشرائط فهي على الرف تحت النافذة اليسرى.

فتشت جوليا بين كومة الشرائط بسعادة، وانتقت أخيراً شريطاً عليه موسيقى لهنري مانشيني فقال بيرس معقباً وهو يضع صينية القهوة على الطاولة المستديرة:

ـ موسيقى مزاجية، ليس لدي حليب للقهوة، لم أكن أتوقع زيارة أحد هذا المساء، فلأضع الشريط عنك.

ـ شكراً لك، فالجهاز معقد على ما يبدو.

بعدما احتسيا قهوتهما بصمت متجانس تناول بيرس منها فنجانها فوضعه على الصينية، ثم شدها إليه، واستلقيا على ظهر الأريكة مسترخيين، رأسها على كتفه وآذانهما تصغي إلى الموسيقى الرائعة التي تنساب في جو الغرفة بهدوء.

ـ جوليا.

تحركت على كتفه بكسل: «نعم بيرس».

ـ هل أحببت معتزل عزوبيتي؟

رفعت رأسها إليه تبحث في وجهه الذي بدا لها أكثر شحوباً.

ـ رائع تماماً.. ولن أرغب في تغيير شيء فيه.

ضمها إليه أكثر، ودفن وجهه في شعرها.

ـ أيعجبك إلى حد أن تشاركيني فيه عطلة الأسبوع على الأقل؟

حررت نفسها منه بلطف، وجلست هادئة مسمرة للحظات.. تحدق إلى قدميها وعندما التفتت إليه قالت بصراحة: «أجل».

تنهد تنهيدة عميقة، فأدركت أنه كان يكتم أنفاسه:

ـ أنت واثقة من هذا حبيبتي؟

هزت رأسها إيجاباً ورفعت وجهها إليه.

ومضى وقت طويل لم يكن يُسمع فيه سوى الموسيقى المنسابة التي انقطعت عندما انتهى الشريط.. كانا ملتصقين بداه تمران بلطف على كتفيها ولم تكن تقاوم ولكن عندما أبعد نفسه عنها نظرت إليه بعينين مغشيتين لا

تفهمان. كان وجهه مشدوداً وعيناه تشعان بأحاسيس يقاوم كبحها.

همست: «لا».

ابتسم ابتسامة محطمة: «لا؟ كيف أستطيع الرفض؟».

ـ هل فعلت شيئاً خاطئاً؟ بيرس.. أظن أننا سنتمكن يوماً من قول «نعم» في وقت واحد؟

ضمها وهو يضحك باضطراب:

ـ يجب أن تكوني مؤمنة بهذا، أما الآن فأريد أن أقدّم لك شيئاً اشتريته لك من الريو.

وقف يمد يده إلى جيب سترته التي رماها على الأريكة الأخرى. أخرج علبة صغيرة فتحها، ثم أمسك يدها في يده وعمد بكل لطف إلى انتزاع خاتم الزواج من يدها واستبداله بالخاتم الذي كان في العلبة. نظرت جوليا بدهشة إلى الياقوتة المستطيلة المحدبة الظهر المحاطة بثلاثة ألماسات صغيرة.. تلألأت الحجارة الكريمة سابحة في بحر من الدموع التي ترقرقت في مآقيها قبل أن تتدفق إلى يدها رغماً عنها. فأدار بيرس وجهها المبلل إليه:

ـ ظننت أنني جففت دموعك كفاية الليلة حبي. هل الزواج مني محزن؟

برقت ابتسامتها بين الدموع:

ـ لم أعتقد أنك تفكر في الزواج.

قال مؤنباً:

ـ جوليا.. جوليا.. وهل وافقت على الإقامة معي بلا رباط حقيقي؟

هزت رأسها إيجاباً، والدماء تضرّج وجهها.

ـ ولكنني أريد أن تتم علاقتنا بالطريقة التقليدية. فأنت على أي حال، ابنة كاهن، هذا دون ذكر رد فعل والدي وليديا وهنري.. إلا بالطبع إذا كانت تجربتك الأولى قد جعلتك قلقة.. لن أحاول أن أحل مكانه بل سأحاول فقط أن أسعدك إنما على طريقتي.

دفعت جوليا بشعرها عن وجهها الندي، وما أدهش بيرس وأبهج قلبه أنها قبلته ثم ابتسمت:

ـ سأكون صريحة تماماً حبيبي.. لم أفكر في أي شيء من هذا القبيل.

www.alkottob.com

اعتقدت أنك تعرض عليّ الإقامة معك وكنت مستعدة للقبول مهما كانت شروطك. صحيح أن هذا يبدو مخجلاً تماماً ولكن لا أريد أبداً أن أمر بفترة عصيبة كالتي مررت بها منذ عودتنا من الريو.. كانت أسوأ أيام حياتي، بل هي أسوأ من الأيام التي تلت موت باتريك. اعتقدت أنني خسرت فرصتي الثانية، وأنك لم تعد تريدني.

صمتت تمسح المزيد من الدموع بقبضة يديها:

ـ لا أستطيع التعبير عن سعادتي لمعرفتي أنك ترغب في الزواج بي بيرس. فأنا أريد أن أمضي سنوات عمري معك.

ازداد احمرار وجه بيرس، واختطفها مجدداً بين ذراعيه، فكانت عيناه مغمضتين ووجه كل واحد منهما مشدود إلى الآخر بقوة. كانا حبيبين لا يتحركان من فرط السعادة والحب المتبادل الذي يصل إلى حد العذاب الجسدي.

بعد فترة طويلة، طويلة، أبعدها عنه بلطف، ووقف:

ـ سأعيدك إلى منزلك حبي.. غداً سنخبر أمي وأبي وليديا وهنري وكل من يهمه الأمر بموضوع زواجنا.

زرر لها سترتها كطفلة صغيرة وبعدما انتهى قبل جفنيها.

ـ لا تجعليني أنتظر طويلاً جوليا.. كوني رحيمة ووافقي بسرعة.

فكرت قليلاً:

ـ اليوم هو الخميس.. أحتاج إلى ما أرتديه، وأعتقد أن علينا ترتيب حفل استقبال.. في الواقع بيرس، لا أظن أن الأمر ممكن قبل سبت الأسبوع القادم.

ـ أتعنين هذا؟

ـ بالطبع لا حبيبي.. كنت أمازحك. على أي حال، هناك إعلان زواج، أو على الأقل ترخيص خاص.

كانت جوليا تضحك ممازحة، ولكن وجهها عاد إلى رصانته حين لاحظت تجهم بيرس.

ـ لا أرى سبباً للتأخير، خاصة إذا كنت راغباً في هذا قريباً.

www.alkottob.com

ـ لم أرغب في شيء رغبتي في هذا الزواج.

كان صوته هادئاً، لكنه تكلم كلمات مقنعة جعلت جوليا تسحب نفساً عميقاً وتبتسم له:

ـ أراك في الكنيسة إذن، إذا استطعت الحصول ترخيص.

ـ اتركي كل شيء لي.. وأعتقد أن أمي وليديا قادران على تنظيم ما تبقى.

التقطها بين ذراعيه يرفعها ويديرها بجنون.

ـ فتاتي الحبيبة.. من الأفضل أن أصحبك إلى البيت فوراً.. أمامنا الكثير قبل سبت الأسبوع المقبل.

ـ ولكنني لا أعرف إن كان رب عملي سيعطيني إجازة.. مع أنني مستعدة للعمل الإضافي.

* * *

www.alkottob.com

١٠ـ شعاع الحب

استيقظت جوليا في الصباح التالي فجأة، تدرك دونما سبب معروف أن شيئاً خطيراً قد حدث. أضاءت مصباح غرفتها لتنظر إلى الساعة، ولكنها حبست أنفاسها حالما رأت عيناها بريق الأحجار الكريمة في إصبعها.. كانت الساعة الخامسة.. فعادت لتغوص بين الوسائد، ويدها مرفوعة أمامها لتتمكن من تأمل الخاتم الأنيق. أطالت النظر إليه ثم راحت أولى إشعاعات السعادة الذهبية تتضاءل، وبدأت الشكوك تساورها لتحل مكان تلك السعادة.

لقد كانت مندفعة جداً ليلة أمس. ما الذي استحوذ على تفكيرها بحق الله لترمي بنفسها عارية الروح بين يدي شخص ما يزال غريباً جرتياً عنها؟ هذا دون ذكر استسلامها الكلي له ولولا ورع بيرس نفسه في اللحظة المناسبة لحدث ما لا تُحمد عقباه. احترقت وجنتاها عندما تذكرت تلك الدقائق العاصفة، حيث لم يكن في العالم سوى بيرس وعناقه، وصوته القائل لها أقوالاً ستظل محفوظة في كيانها إلى الأبد.. أدارت رأسها تدفنه في الوسائد.

كيف سأمضي في هذا؟ لقد كنت مستقلة في حياتي. فترة طويلة أما الفترة التي كنت فيها زوجة لباتريك فلا تكاد تحسب في حياتي ومن ناحية أخرى إن استطاعت لملمة شجاعتها لتقول لبيرس إنها غيرت رأيها فماذا يبقى عندها لتتمناه؟ ما دام لم يجتذب أي رجل اهتمامها قبل لقاء بيرس، فمن المستحيل أن ينجح أحد بهذا في المستقبل.. عليها إذن أن تكيف نفسها لنعيم العزوبية السرمدي، وللعب دور الخالة العانس الدائمة.

ارتجفت جوليا من هذه الصورة فأغمضت عينيها وسرعان ما طالعها

وجه بيرس صاحب النظرة الزرقاء المميزة التي لم ترها قبل ليلة أمس.. فهمت ببطء بالضبط ما هي تلك النظرة.. إنها نظرة رجل عاقد العزم، رجل وقع في الحب.. دفع هذا الاكتشاف دموعاً ساخنة إلى جفنيها المغمضين، وكان أن شقت الدموع طريقاً حاراً على وجنتيها.

كيف فكرت يوماً في أن فكرة قضاء حياتها آمنة في شقة صغيرة، وسط كتبها وتسجيلاتها، قد تكون أفضل من الزواج ببيرس. سارعت لتجد منديلاً نفخت به أنفها، ثم مسحت عينيها بقوة. لماذا القلق وهي ستسلم نفسها جسداً وروحاً؟ ولكن أليس هذا ما تفعله غالبية النساء رغم النضال الذي يقمن به من أجل تحرير المرأة؟ أليس الزواج هو غايتهن منذ أن يعرفن أن في الحياة جنسين؟

عاد اليقين الكامل يندفع إليها بموجة دافئة مطمئنة. إنسي كل شيء عن كبتك النفسي أيتها الحمقاء.. فأنت محظوظة لأن رجلاً ذكياً محباً يريدك زوجة، وعما قريب ستمضين أيام حياتك معه حيث لا مزيد من الشكوك أو الريبة.. اركعي على ركبتيك واشكري الله لأنه منحك فرصة ثانية في حياتك.. فلا تتاح لأشخاص كثيرين حتى الفرصة الأولى.

وراحت تستحم وهي تغني بصوت أجش ثم ارتدت ثيابها بترو ولم تلبث أن حضرت نفسها لتناول فطور لائق.. كانت ثقتها مع مرور كل دقيقة تزداد وعندما آن أوان الانطلاق إلى العمل تركز اهتمامها على واقع واحد مهم في الحياة، وهو أنها بعد خمس دقائق تقريباً سترى بيرس.

كانت نظرة واحدة من نافذة غرفة جلوسها كافية لترى السيارة السوداء الطويلة المنتظرة قرب البوابة. رمت معطفها على كتفيها، ثم التقطت حقيبتها، وهرعت تنزل الدرج ناسية لأول مرة الرصانة والهدوء. حثت الخطى في الممر الخارجي وأسرعت إلى المقعد المجاور لمقعد بيرس في السيارة، ثم ألقت بنفسها كحمامة زاجلة بين ذراعي بيرس المنتظرتين. بعد عناق مرضي، أبعدها عنه ليتأمل وجهها المتألق:

ـ تبدين نشيطة ومضيئة الوجه.

ـ شخص ما وجد الزر الذي يضيئني.. وأنت تبدو رائعاً كذلك..

www.alkottob.com

أحبك.. وأنت تحبني.. فلماذا لا أقول لك كم تبدو جذاباً؟

مد يده يمسك يدها:

- أنا لا أتذمر.. ولكنني أتمنى لو أننا في مكان يسمح لي بأكثر من إمساك يدك.. ثم إنني لست معتاداً على سيدات يبدين إعجابهن بي.

تصاعد الدم إلى وجهه فتناقض اللون الأحمر مع ياقة قميصه الأبيض.. كان يحاول جاهداً تركيز اهتمامه على قيادة السيارة.

- سأصحبك للغداء أنت وأبي وأمي اليوم. إنهما يتوقعان حضوري للتباحث في ما جرى في لندن.. لذلك رأيت أنها فرصة مناسبة لأفاجئهما بك وبخبر خطوبتنا.

- وهل إقحام ضيف غير متوقع على أمك أمر صائب؟

- إن لأمي هفواتها ولكن قدراتها على توفير الطعام ليست أبداً من هذه الهفوات، أؤكد لك.

ابتسم فبدا لها طفلاً ثم سمعته يردف:

- ثم.. إنني سأسعد كثيراً وأنا أزف إليهما مفاجأتنا، مع أنه يتملكني شعور بأن أبي لن يفاجأ كثيراً.

أزالت جوليا خاتمها وأعادته إلى علبته ثم وضعته في مكان خاص في حقيبتها. لاحظ بيرس ما فعلت فصاح بها:

- هاي! ألن تحتفظي به في إصبعك؟

- يعذبني أن أخبئه.. ولكنني أفضل الانتظار ريثما نخبر أمك وأباك.

وعلى ذكر هذا الموضوع بيرس أتصحبني هذا المساء إلى منزل ليديا؟ أحب أن تزف لها البشرى معاً كذلك.

- اتصلي بها حالما نصل إلى المكتب، ورتبي الزيارة.. واعلمي أنني أريد خاتم ملكيتي في إصبعك في أسرع وقت ممكن ولكن هل سيزعج قراري مبادىء المرأة الحرة فيك؟

- أبداً.. فأنا ملكك. إن قولك يعجبني فلماذا أتظاهر بالعكس؟

ترك بيرس يدها قبل أن يدخلا إلى مبنى الشركة. اجتازا الردهة برصانة وتلقيا التحيات المعتادة ولكنهما لم يكونا واعيين للنظرات المبتسمة

المتفهمة التي تلاحقهما.

ما إن أنهت جوليا التعامل مع البريد الصباحي، حتى اتصلت بليديا، التي صاحت بها بصوت مستاء:

- أين كنت ليلة أمس؟ قالت لنا السيدة هيكنز قصة غريبة عن عودتك إلى المكتب.. ولا أعرف لماذا لا تحتفظين بسرير هناك فينتهي بذلك الأمر..

- نسيت أن أقفل درجاً فيه وثائق هامة. أما الجزء الأخير فأظنني قادرة على القول إنني أصبحت أحسن حالاً.

- هذا ما أراه من خلال صوتك. هل ستأتين غداً لقضاء عطلة الأسبوع؟

صمتت جوليا لحظات.. ثم سألت:

- أيمكنني المجيء الليلة؟ وهل لي أن أصحب بيرس معي للعشاء؟

طال الصمت في الجهة الأخرى حتى ظنت أن الخط انقطع.. ولكنها سمعت أخيراً ليديا تقول:

- طبعاً جوليا. ولكنني ظننت أن علاقتكما لم تكن على ما يرام بعد عودتكما من الريو. وقد منعت نفسي لئلا أسألك عما إذا وقع بينكما شجار، فلقد بدوت مخطوفة اللون تقريباً.

- لاحظت هذا، وكنت بالطبع محقة. لقد تشاجرنا حقاً.. ولكننا تصالحنا.. أراك إذن في الثامنة.. لا تحضري شيئاً خاصاً ليديا، ولا ترهقي نفسك.

- لا تحدثني بهذه الحماقات جوليا أراك الليلة حي.

ازدادت ابتسامتها دفئاً حين شاهدت بيرس واقفاً في الباب يراقبها. كان يبدو رسمياً جذاباً وهو يرتدي هذه البذلة الكحلية وربطة العنق الزرقاء فوق القميص الناصع البياض.. وقالت:

- إنني أقرص نفسي لأتأكد من أنني في يقظة لا في حلم.

قطع الغرفة لينحني فوقها ويقبل رأسها:

- إن أردت الاقتناع ملاكي، فهذه الطريقة أفضل، ولكنني أؤكد لك أن الأمر حقيقي.. والآن ورغم عدم رغبتي في أن أنزلك من علياء أحلامك سأطلب منك التقرير.

www.alkottob.com

مرّ اليوم بسرعة ومعظمه بسبب ساعة الغداء التي قضياها مع هارتويل الكبير الذي أبدى سروراً كبيراً للخبر وهذا ما جعل جوليا تبكي فرحاً. خاصة حين اقترح احتفالاً بهذه المناسبة، وقال يغمز بعينيه:

- كنت أعرف أن كل واحد منكما يليق بالآخر وذلك منذ أن رأيتكما معاً.

أصبح الخاتم الآن رسمياً في إصبعها. وأحست جوليا أنها وبيرس أصبحا فعلياً مخطوبين خاصة بعد إصراره على إعلان الخبر أمام كل موظفي الشركة وكان أن خصص فترة بعد الظهر لتلقي التهاني. كانت أوليفيا سعيدة سعادة جعلتها تبكي وهي تعانق جوليا وتهنىء بيرس، وسألت مبتسمة:

- كم من الوقت ستمهلاننا لجمع ثمن هدية من الموظفين؟

- حوالي الأسبوع، إذا أمكن.

عندما رأى انتفاضتها ضحك ثم نظر إلى جوليا نظرة واضحة للعيان:

- لا أرى ما يدعو إلى الانتظار أكثر من هذا.

أحست جوليا بالاحمرار يغزو وجهها، ولكن النظرة التي ردتها بثبات جعلت بيرس يتحرك ليمسك يدها، وجعلت أوليفيا تبتلع غصة في حلقها وتقول بمرح:

- حسناً ماذا ترغبان.. آلة لتحميص التوست، أم مرطبان مخلل، أم مظلة للحديقة؟

- أي شيء.

لكن تفكير بيرس كان مركزاً على أمور جعلت أوليفيا تتسلل هاربة وتبتسم لنفسها بدون أن يشعر بيرس وجوليا بما يجري حولهما.

حين أوقف بيرس البورش أمام منزل آل مايسون، بعد الثامنة بقليل من ذلك المساء كانت جوليا قد بدأت تعتاد بسرعة على تغيير نمط حياتها الهادىء المنتظم.

- أتعرف بيرس.. أشعر أنني سندريلا. بالأمس في مثل هذا الوقت كنت محطمة.. أما الليلة فأنا في مزاج للاحتفال خاصة وأن هذا الخاتم الرائع في يدي والأهم من هذا كله أن أمير الأحلام برفقتي.

ضحك لكلامها ينظر إليها بعينين مشبعتين بالحنان.

- الفرق الوحيد يا أميرتي، أن السيارة لن تتحول إلى يقطينة.. وأعدك ألا يحدث أي تحوّل في منتصف الليل.. والآن فلأضمك جيداً قبل الدخول.

أطاعته جوليا بحرارة ولكنه ابتعد عنها مكرهاً ودار لينزل حقيبتها الصغيرة من صندوق السيارة، وفي هذه الأثناء أطلت ليديا.

أدخلتهما إلى الردهة الدافئة، وقدمت لهما القهوة وعيناها تتنقلان بين بيرس وبين جوليا وشفتاها تعتذران عن تأخر هنري في العودة من عيادته:

- إنه يغير ملابسه.

أشارت إلى الأريكة في غرفة الجلوس.. كانت تنظر باهتمام إلى فستان جوليا الأحمر وإلى سترتها البراقة، ثم إلى ما ترتديه هي من بنطلون مخملي أسود وقميص قطني، قالت وعيناها تبرقان بشرّ ما وكلامها موجه إلى هنري الذي كان يدخل إلى الغرفة:

- أتسمح بأن أغير ثيابي؟ شكراً لله لأنك تأنقت بشكل معقول حبيبي، خلتك ستنزل مرتدياً كنزة الغولف القديمة. انظر إلى جوليا.. وإلى بيرس المرتدي هذه السترة المخملية الرائعة..

ولكن هنري لم يرتبك وسارع إلى مصافحة بيرس، وإلى تقبيل جوليا:

- لا أظن أن ضيفينا سيهتمان بما ترتدي ليديا ما دام طعامنا وشرابنا لذيذين.

قال بيرس مبتسماً بشكل جعل ليديا ترفرف عينيها:

- تقول جوليا إنه الفستان الأحمر الوحيد الذي تملكه.. ومن الواضح أنه الليلة ضرورة ليتماشى مع هذا.

قال قوله ذاك ثم ابتسم ابتسامة عريضة قبل أن يرفع يد جوليا، التي تمكنت حتى الآن من إخفائها، وأظهر بفخر للزوجين، الياقوتة الحمراء الجميلة التي كانت تستقر في إصبعها.

سُمعت صيحة ليديا على بعد أميال.. ثم رمت نفسها عليهما في عناق مجنون حار. وكانت تهاني هنري الأقل استعراضاً صادقة أيضاً حتى وإن أبدى امتعاضاً لأنهما لم يقولا هذا مسبقاً لتحضير احتفال بالمناسبة. سرعان ما اتصلت ليديا بلوئيل وانغريد هارتويل، تصرّ على أن ينضما إليهم للاحتفال

www.alkottob.com

بالمناسبة وانطلق بيرس فوراً لإحضارهما.. وكانت مجموعة مرحة تلك التي استقرت حول المائدة للعشاء تلك الليلة.. كان وجه جوليا مشعاً إشعاعاً جعل ليديا تلجأ إلى المطبخ أكثر من مرة لتمسح دموع الفرح بحجة الاهتمام بالطعام..

في نهاية السهرة، ترك الجميع بيرس وجوليا بلباقة متمنين لهما ليلة سعيدة، فضمها إليه بشدة وعانقها بدون تحفظ. وقال يهمس في شعرها:

ـ لن تطول ليالي التمنيات فما هو إلا أسبوع حتى أصبح مالكك الحصري.

تنهدت: «آه بيرس ليت الزواج يتم غداً!».

ـ وهذا ما أتمناه أنا أيضاً يا حبيبتي.. نامي جيداً ولاكن الوحيد في أحلامك.

حين أقفل الباب وراء بيرس وأبويه، نظرت جوليا إلى ليديا التي مدت لها ذراعيها لتحتضنها، ولأول مرة لف هنري ذراعيه برقة حولهما، ورافقهما ببطء إلى النوم، بغض النظر عن احتجاجاتهما المتعلقة بالتنظيف. وقال بثبات:

ـ في الغد.. فأنا لا أنوي أن أضيع سعادتي بغسيل الصحون!

* * *

١١ ـ مليكة الثلج

صباح يوم الزفاف، فتحت جوليا عينيها ببطء تتمطى وتتثاءب ثم نهضت لمّا رأت ليديا تتقدم إليها وهي تحمل صينية ملأى بالأطعمة.

ـ صباح الخير حبيبتي، الطقس بارد قليلاً.. ولكن الشمس تحاول البروز.. ظننتك ستبكرين في الاستيقاظ. الساعة الآن التاسعة يا نائمة. هيا.. ستتزوجين في الساعة الثانية عشرة!

ابتسمت جوليا رداً. وتمطت ثانية فأسرعت ليديا تضع وسادة خلفها وأخذت الصينية عن الطاولة ووضعتها على ركبتي جوليا.

ـ لم يغب هذا عن بالي! فلقد استيقظت في الخامسة، ومنذ ذاك الوقت وأنا أصحو وأغفو ويبدو أنني غفوت في الثامنة، وليس هذا بتصرف عروس. أليس كذلك؟ أمن المفترض أن آكل هذا كله؟ لن يناسبني ثوب العرس إن أكلته كله!

ـ بل تستطيعين أكله كله.. لا أسمح أن تقعي مغمى عليك بسبب الجوع في الكنيسة. أظنني سأشاركك القليل.. فقد كانت عصابتي متفعلة انفعالاً جعلتها تأكل كل ما وضع على القطور هذا الصباح.. وكان عليّ أن أفعل المستحيل لأمنعها من غزو غرفتك مع إطلالة الفجر الأولى. اسمعي سآكل طبق «السيريل» وأنت تأكلين اللحم والبيض.. أعددت الكثير من التوست لأنني عرفت أنني سأشاركك فيها، وحملت كوبين لأحتسي بعض الشاي معك كذلك.

جلست ليديا براحة على طرف السرير، تقضم التوست وتنظر إلى جوليا بإمعان:

ـ حسناً.. كيف تشعر العروس؟ ألا تشعرين بالانفعال والتوتر

www.alkottob.com

التقليديين؟

صمتت جوليا لحظات.

- ما عدت أشعر بهما، ويجب أن أعترف بالشك الغريب المعذّب الذي أحسست به حتى بعد قولي نعم.

- وهل يتعلق الشك في مشاعرك تجاه بيرس؟

- لا.. ليس هذا أبداً.. صدقي أو لا تصدقي، رغم حرب العصابات التي دامت طويلاً في البداية كانت القصة، نظرة واحدة، وضربة صاعقة.. وحدث الشيء نفسه لبيرس الذي أخبرني ذلك مراراً.

عندما تضرّج وجهها ألهت نفسها بصب المزيد من الشاي، وأطلقت ليديا نفساً عميقاً كانت تحتجزه.

- شكراً لله! أقلقتني.. وبماذا أحسست.. الحب؟

- لست مراهقة ليديا ومن المفترض أن أكون ناضجة. ولكنني لم أحظ بخبرة كافية مع الجنس الآخر.. أليس كذلك؟

- أظن بيرس سعيداً بهذا.. بكل تأكيد!

- لم أقصد هذا بالمعنى الجسدي.. أنا لم أوضح لك المعنى تماماً.. ما أحاول شرحه ليديا، هو أنني أحبه حباً يجعلني خائفة من أن أفقد واجهتي الخارجية التي جاهدت لتغليف مشاعري بها. ومن المخيف الشعور بأن مستقبل المرء وسعادته يعتمد ان على شخص واحد.

صمتت ليديا قليلاً قبل أن ترد، ونظرت إلى جوليا مباشرة:

- هذا يعتمد على ذلك الشخص الواحد، لقد فعلت أنا الشيء ذاته ولم أندم يوماً.. وهذا هو سرّ الزواج: الالتزام الكامل ولكنه في الوقت نفسه نوع من المقامرة، ربما كان يمكن لباتريك المسكين أن يكون لك الشريك المثالي. لا أدري، لأنني لم أقنع يوماً أن ما بينكما كان أكثر من علاقة أخ بأخته. أما بيرس فشيء آخر.. أليس كذلك؟

هزت جوليا رأسها موافقة وفي عينيها نظرة حب غير خفية ولكن هذه النظرة لم تغب عن عيني ليديا التي قالت بمرح سري:

- ثمة أمر أخير جوليا، الزواج علاقة ذات اتجاهين. لا تنسي أنك

تملكين السيطرة على سعادة بيرس أيضاً.. لقد وقع هذا الرجل في حبك رأساً على عقب. أنت لم تلاحظي النظرة التي تبدو على وجهه عندما يعتقد أنك لا تنظرين إليه. اليوم، في الكنيسة، ستقسمان على الحب والعناية. وأنا واثقة أن أياً منكما لن يجد صعوبة في الحفاظ على هذا القسم.. وهنا ينتهي الدرس الأول والأخير!

ابتسمت جوليا لأختها بعرفان للجميل:

- إن هذا آخر ما يشغل بالي حقاً.. فبيرس هو كل ما قد أرجوه في زوج. أنا فتاة محظوظة جداً.

- وهو رجل عظيم جداً حبيبتي.. ولكنني لا أظنه يماثل هنري.

رمت جوليا الوسادة على أختها احتجاجاً ولكن ليديا ابتعدت والتقطت الوسادة بسهولة وصاحت:

- ستقابلين هذه الصينية أيتها الحمقاء!

- لا تأبهي للصينية.. كيف أصبحت تسريحة شعري؟

نزلت من السرير لتجلس على طاولة الزينة.

- تبدو رائعة.. مصففة الشعر في البلدة ماهرة كذلك الرجل في الريو.. وقد قامت بعمل رائع لشعري أيضاً.

- ادعي ربك لتبقى قبعتانا على رؤوسنا.. آه.. لا تلتفتي الآن ليديا، ولكنني أعتقد أن نبوءتك على وشك أن تتحقق، فالباب ينفتح شيئاً فشيئاً.

صاحت الأم باستسلام:

- ادخلوا جميعاً.. واسألوا خالتكم إن كان بالإمكان أن تأخذوا منها قليلاً من التوست.. وأرجوكم، ضعوها في أفواهكم لا على السجاد.. أين كارول؟

- إنها في كرسيها المرتفع تكلم السيدة هيكنز.. ألا تمانعين يا خالتي إن أكلنا ما تبقى من طعامك؟

- لا أمانع أبداً.. خذوا حريتكم، كلوها كلها. لقد انتهيت.

وجد فيليب أن الواجب عليه أن يقول:

- كارول لا تعرف كيف تتكلم.

www.alkottob.com

قال الشقيق الأكبر ساخطاً:

ـ أعرف هذا.. ولكنها والسيدة هيكنز تتفاهمان..

ردت جوليا:

ـ على فكرة ليديا، كانت فكرة مبيت السيدة هيكنز هنا ليلة أمس مبادرة رائعة منك.. كادت تطير إلى القمر حين طلبت منها.

ـ إنها لا تقدر بثمن، لقد ساعدتني هي والمرأة التي أحضرها لمساعدتي عادة خير مساعدة.. ولهذا لا أمانع في وجود العصابة كلها معنا هنا.

قال مايك متفاخراً: «السيدة هيكنز تحبني..».

صعد إلى الفراش واندس قرب جوليا ونظره مركز على آخر قطعة توست، وأكمل:

ـ.. تعطيني شيئاً آكله.

قالت أمه: «يكفي أن يقدّم لك أحدهم بسكويتة واحدة لتحبه. حذار أن تفسد تسريحة خالتك!».

ضمت جوليا الجسد الصغير:

ـ لا تقلقي، فسيصمد أمام أقوى من هذا العناق.

ـ أيتها الساحرة.. السحر يناسبك الليلة!

ـ يكفي ليديا.. ليس أمام الأولاد.

ـ هراء! يجب عليهم أن يعتادوا على حقائق الحياة أولاً وأخيراً. الآن أظن أن من المستحسن البدء بتحضير الطعام. أرسلت السيدة هارتويل أطباق كركند تسيل اللعاب، وقالب حلوى ضخم الحجم، هذا دون ذكر الديك الرومي المملاق، الذي وصل ليلة أمس. إنها حقاً سعيدة بالمناسبة، وأظن أن لوفيل سعيد وكأنه هو من هندس الأمر كله بينكما بنفسه.

ـ إنه واثق من هذا! ليديا ليتك تسمحين أن أقيم حفل الاستقبال في فندق، أو أي مكان آخر. أخشى أن يرهقك الحفل رغم المساعدة.

وقفت ليديا بالباب وعلى وجهها إمارات الجد:

ـ لن تستطيعي تصوّر مدى سعادتي بما أقوم به. كان زواجك في المرة الماضية مناسبة عابرة ليس فيها ضيوف أو حفلة حتى ظن الجميع أننا كنا

نخجل مما يحصل.. أما هذه المرة فالأمر مختلف.. والآن، هيا تحركي.. استحمي.. ألا تدركين أن الساعة توشك أن تبلغ العاشرة؟ هيا يا أولاد، من الأفضل أن أبدأ بترتيبكم أنتم أيضاً.

استلقت جوليا بهدوء بعدما أخرجت ليديا أولادها. وكان من المحتم أن تتجه أفكارها بعيداً، إلى يوم زفافها السابق وقتذاك تمّ الأمر على عجلة وفي إطار ضيق، فقد تجاهلها أبواه.. ولم يشارك بالحفل سوى ليديا وهنري وزميل باتريك، أما تجمعهم فكان في الكنيسة القديمة المألوفة لها حيث زوّجهما بسرعة الكاهن الجديد الذي لم تكن تعرفه، كي يتمكنا من الإسراع في سيارة باتريك القديمة للحاق بالسفينة من «دوفر» إلى أسبانيا، وهناك أنفقا كل ما ادخراه حتى ذلك الوقت على شهر عسلهما الذي دام أسبوعين وارتدت جوليا يومها أجدّ فستان صيفي تملكه مع قبعة للبديا التي لم تستطع إخفاء الدموع لرحيل الشابين... ولكن ما خفف عنها الآن تأكدها بأن باتريك كان ينوي إسعادها.. أما اليوم فأخذت تعد نفسها لهذا الزفاف وهي مقتنعة بأن شيئاً ما لن يخيم على سعادتها من جديد.

على الرغم من حذر ليديا واضطرابها لأن جوليا لن تنتهي من تحضير نفسها في الوقت المحدد، كانت الساعة الحادية عشرة والنصف عندما ألقت جوليا النظرة الأخيرة على نفسها في المرآة فوجدت أنها مستعدة.. كانت سراً تحب ارتداء الساتان الأبيض الطويل والبرقع المخرّم.. ولكنها، عوضاً عن ذلك ارتدت فستاناً قصيراً ضيّقاً ذا ياقة عالية وأرداف طويلة من الصوف الناعم وفوقه سترة تصل إلى وركيها، أكمامها واسعة يحيط بها فراء السنور الثلجي. ولكنها رفضت محاولات ليديا لجعلها تعتمر قبعة من الفراء ووضعت فوق شعرها البرّاق الناعم، قبعة بيضاء صغيرة لا حوافي لها كان الهدف الوحيد منها تثبيت البرقع الذي لم يكد يلامس حاجبيها. أمسكت قفازاً بنياً ليتلاءم مع حذائها الناعم، وأخيراً ثبتت الزهرتين اللتين أرسلهما لها بيرس: وكانتا زهرتين عاجيتي اللون من الأوركيديا.

نزلت جوليا السلم فوجدت العائلة منتظرة في الردهة.. كان الصبيان الثلاثة مرتدين السترات الرسمية وعلى وجوههم السرور لأنهم يرون أباهم

www.alkottob.com

يعتمر قبعة رمادية مرتفعة أما كارول فكانت ترتدي معطفاً من الفراء الأبيض وتجلس بهدوء بين ذراعي السيدة هيكنز التي كانت ترتدي أفضل معطف لديها وهو معطف تخصصه عادة للكنيسة فقط ثم أنت ليديا مسرعة من غرفة الطعام وهي ترتدي معطفاً مخملياً أسمر، وتعتمر قبعة حمراء من فراء الثعالب. وقفت جامدة حين شاهدت جوليا تقف مترددة على قمة السلم، فرفع الجميع أنظارهم وساد صمت قصير، ثم تقدم هنري ليلقاها بترحاب:

ـ عربتك بالانتظار يا مليكة الثلج..

قبلت جوليا أختها بحذر:

ـ آه ليديا تبدين مذهلة ولن أبكي، لئلا أفسد زينتي. وأنت سيدة هيكنز لا تجرؤي على البكاء.

أخرجت ليديا الجميع، ثم تركت جوليا وهنري ليرافقها إلى الخارج..

قال هنري:

ـ هنيئاً لك يا أختنا الصغيرة.. وعسى أن يكون طريقك هذه المرة مفروش بالورد.

رفعت حاجبيها:

ـ لكن لن يكون خالياً من بعض الأشواك، فقد يقع عراك أو أكثر..

ـ هذا طبيعي.. ولو لمجرد التمتع بالصلح. وحتى أنا أرى أن كل واحد منكما يناسب الآخر. وهذه أفضل وصفة لزواج سعيد.. هيا بنا إذن يا حبي لتخطي الخطوة الأولى.

***

بعد السادسة بقليل من ذلك المساء، كان بيرس وجوليا في البورش يتوجهان إلى «كوتسولد» بسرعة كسولة. لوّح لهما عند الانطلاق ضيوف الزفاف الذين ما زالوا مستعدين للاستمرار بالاحتفال بالمناسبة حتى آخر الليل.. ما إن تركا ضواحي البلدة حتى انعطف بيرس وأوقف السيارة في ساحة صغيرة.

ابتسمت جوليا له بحب:

ـ أنسيت شيئاً حبيبي؟

ـ لا، لم أنس شيئاً.

مد يده إليها يجذبها إلى ذراعيه معانقاً، ثم مرر أنفه بلطف فوق أنفها:

ـ في الساعات الماضية ورغم الحفلة التي لا تصدق والاستقبال الرائع كان يواجهني عمل شاق في إبعاد تفكيري عن هذا.. وهذا.. وهذا..

كان يؤكد على كلامه بقبلات صغيرة سريعة:

ـ هل من اعتراض؟ سيدة هارتويل؟

ـ أوه بيرس.. أتدرك ما قلت لتوك؟

ـ إن كنت تعنين الواقع المؤسف بأن تفكيري لم يكن لحظة يخلو من رغبتي في معانقتك.

ـ لا أيها الأحمق.. على أي حال، هذا الأمر لا يستحق الأسف، بل الواقع أن ما عنيته هو مناداتك لي بالسيدة هارتويل.. بدا لي الاسم رائعاً..

بيرس..

ـ أوافقك الرأي..!

كان يبدو على وجهه الرضى والاعتداد بالنفس.

ـ تبدو كقطة شربت الحليب لتوها.

ـ هذا ما أحس به في الواقع، مع أنك كنت قادرة على إيجاد وصف أكثر رومانسية. ما يدهشني، هو حفل الزفاف وروعته وأنا الذي كنت أعتبره تجربة مخيفة.

ـ كانت ليديا مصممة على أن يكون من أسعد المناسبات، وأظنها نجحت.. فلقد بدا الجميع مستمتعاً بوقته.. وهنري مضيف رائع، طبعاً ولكن والدك كان في غاية النشاط، وابن عمك كان أفضل إشبين.. مع أن لديا سحرته.

ضحك بيرس:

ـ وهذا ما كان عليه حال جايمس ويكهام وحال الرجال الآخرين. لقد صرعتهم جميعاً. ولكن حتى ليديا اليوم كانت في الظل أمام إشراق العروس.. حين تقدمت نحو المذبح أحسست أنني أكثر الرجال فخراً على وجه الأرض.

www.alkottob.com

كانا يتجهان إلى قرية لا تبعد كثيراً عن «برودواي» و «تشيبنغ كامبدن». في البدء أراد بيرس السفر إلى منطقة استوائية لقضاء شهر العسل. لكن جوليا رفضت بهدوء وحزم، وأصرت على مكان قريب. فاقترح بيرس مكاناً معزولاً وكان أن اتجها إلى كوخ صيفي يملكه صديق لهارتويل الكبير وهو يقع عند أطراف قرية «كليف بريور» الصغيرة.. وصلا إليه قبل السابعة بقليل.. قاد بيرس البورش بحذر على الطريق غير الممهدة المخصصة لعربات الخيل..

كان الكوخ يوماً منزلاً لأحد المزارعين العاملين في الأراضي الزراعية الواسعة القريبة، وقد حافظ عليه خير محافظة فيه غرفة جلوس واحدة ومطبخ في الأسفل، وغرفة نوم وحمام في الأعلى.

حمل بيرس الحقائب فوق السلم الشديد الانحدار، يكاد رأسه يبلغ حدود السقف فوقه، أما جوليا فراحت تستكشف الطابق الأرضي.. لحقت به وهي تضحك عليه لأنه يلعن ويشتم. قالت وهي تنضم إليه في غرفة النوم:

ـ لدينا آنية نحاسية وقماشاً وفيراً هنا حبيبي! وأتوقع أن نجد منظراً سماوياً حولنا في الصباح. يجب أن أقول إنني أتمتع بالدفء، فالتدفئة هنا مركزية وهذا عكس الأثاث!

ابتسمت بسرور وأسرعت إلى ذراعيه الممدودتين ترفع رأسها إليه:

ـ كان من المفترض أن تحملني فوق العتبة.

حملها بيرس إلى الفراش ضاحكاً على ما يراه من تورد وجنتيها. وقال لها وهو يستلقي إلى جانبها:

ـ أنا رجل أحب أن أبدأ أولاً بالأولويات.. أتعرفين جوليا.. من الغريب أن أراك مستسلمة لا تقاومين. أيعني هذا أنك استسلمت أخيراً بلا قيد أو شرط؟

استلقت لحظات، تنظر إلى العينين الزرقاوين المشرفتين عليها من فوق، ثم، تقلبت فوق الفراش ونزلت عنه:

ـ لقد تخليت عن المقاومة منذ طلبت مني الزواج بيرس هارتويل. ولكنك كنت حذراً منذ ذلك الوقت، علماً إننا لم نجد فرصة للاختلاء في

الأسبوعين الماضيين.

اتجهت إلى طاولة الزينة تجلس إليها.. فلحق بها ووضع ذراعيه حولها من الخلف، ينظر إليها في المرآة، وذقنه على كتفها.

ـ بلغت مقاومتي أدنى درجاتها تلك الليلة جميلتي.. لذلك حرصت على ألا أضعها قيد الاختبار مجدداً.. على الأقل ليس قبل هذه اللحظة الثمينة من الزمن.

كانت عيناه تأسران عينيها في المرآة، ولكن تعابيرهما جعلت نظرها ينخفض ودفعت الحرارة إلى جسدها وكان يرافقها إحساس بالخجل. فقال بخشونة:

ـ تعالي.. إنها ليلة جميلة، فلنقم بنزهة إلى فندق «ويتشيف» في القرية.. سنشرب القهوة هناك إذا أحببت.

ابتسمت جوليا شاكرة.

ـ أنت رجل رائع بيرس.. هذا بالضبط ما أحب القيام به. وهذا ما سيفتح شهيتنا للعشاء. أعني.. لا تنظر إليّ على هذا النحو. هل سأحتاج إلى معطف؟

كان كلاً منهما يرتدي جينز وكنزة، وبما أن الليل كان لطيفاً على غير عادته، انطلقا إلى القرية بملابسهما.. سارا متكاتفين إلى القرية الصغيرة، التي لا يزيد عدد منازلها عن حفنة أكواخ، وعن مركز بريد ومخزن بيع عام وكنيسة صغيرة قديمة ومن المفترض أن فندق «ويتشيف» هو أحد الأماكن التي أقام فيها شيكسبير.

جلسا في المقهى الصغير قرب نار هادرة. كان المكان هادئاً في مثل هذا الوقت المبكر من المساء. اكتفت جوليا بالقهوة والبسكويت، وجلس بيرس يلف يده على كتفيها يلثم شعرها.. وبدأت جوليا تسترخي خاصة وأن توتر هذا اليوم وإثارته تلاشيا ليحل محلهما إحساس بالدفء والرضى.. مالت إليه حالمة وقالت:

ـ أتظن أن مالك الفندق يعرف أننا في شهر العسل بيرس؟

ـ وهل من اعتراض إن عرف؟

www.alkottob.com

- أبداً.. أود لو أركض إلى القرية لأصيح «نحن متزوجان» أتظن الناس سيهتمون؟

أنهى بيرس فنجانه بسرعة. وتناول منها فنجانها:

- لاحظت بعد الظهر أنك لم تأكلي جيداً حبيبتي!

- كانت أكمام الفراء تلك تقيدني. هذا أولاً أما ثانياً فكنت منفعلة أشد الانفعال حتى أحسست بالعطش طوال الوقت. هل يبدو علي الجوع؟

ابتسم لها ببطء، وتعبير عينيه يُذيب عظامها.

- سأتأكد من ألا يغمى على عروستي. لذلك علينا أن نعود فوراً لنأكل.

- يجب أن نأكل عشاءً ضخماً.. لقد حملت لنا أمك وليديا طعاماً يكفينا طوال شهر. يبدو أنهما تتوقعان بقاءنا طوال هذا الوقت.

وقف بيرس ثم أعطاها يده وقادها إلى الخارج:

- ربما ظننا أننا قد لا نرغب في إزعاج نفسينا بالأعمال الرتيبة. علينا أن الإسراع جوليا.. يا إلهي.. السماء تنذر بالمطر.

عندما كان يتكلم انفتحت أبواب السماء فأسرعا مستسلمين بالهرب من أمواج الأمطار المتدفقة. وصلا إلى الكوخ مقطوعي الأنفاس ضاحكين يبدوان وكأنهما كانا في نهر، ثم راحا تحت أنوار غرفة الجلوس يتبادلان النظرات ويحاولات التقاط أنفاسهما.. كان جينز بيرس وكنزته مشبعين بالماء، وكذلك كان حال جينز جوليا وكنزتها فصاحت:

- أوه بيرس.. تسريحة شعري!

دفعها إلى الدرج وافتادها أمامه إلى فوق:

- لا تهتمي بشعرك أيتها الصغيرة.. اخلعي ثيابك المبللة ثم استحمي فأنا لم أنقذك من الجوع لتصابي بنزلة صدرية.

أطاعته فوراً وما هي إلا فترة غير طويلة حتى نزعت ملابسها المبللة وتركتها في خزانة الحمام حتى تجف ثم وقفت عدة دقائق وجففت نفسها بقوة حتى احمرت بشرتها. أما شعرها فأصبح أشبه بغيمة مبللة، ففتشت حولها عما تدثر نفسها به لأنها لم تحضر معها شيئاً إلى الحمام أثناء سرعتها. لفت جسمها بمنشفة حمراء وعقدتها تحت ذراعيها، ثم عادت إلى غرفة

النوم وهناك وجدت بيرس لا يرتدي سوى الجينز المبلل، نظر إلى جوليا ثم استمر في مكانه، فابتسمت بخجل:

- لم أحمل معي ما أرتديه.

ظل مسمراً ينظر إليها فقط.. وعرفت أنها كانت تهذي لكنها اضطرت لمتابعة الكلام:

- اشترت لي ليديا أجمل غلالة نوم وأجمل روب فضفاض.. أعني لا يمكنك القول إنه ثوب نوم.. إنه عسلي اللون ومن الحرير الناعم.. كان يجب أن أحمله.

تلاشى صوتها، عندما وضع المنشفة التي كان يحملها من يده وتقدم إليها ببطء. وعندما نطق جاء صوته أجش وأعمق من عادته:

- ربما الوصف كما تصفينه تماماً ولكنني لا أرى ما هو أجمل مما ترتدينه الآن.

طافت عيناه بتكاسل على قدميها الحافيتين، فأردف:

- أظن أن أكثر ما يجذبني الآن هو جو عدم الأمان الذي يحيط بك.

تحرك بسرعة ليضمها بذراعيه الفولاذيتين فشعرت بالصمم بسبب دقات قلبها المتناغمة مع دقات قلبه. مدت ذراعيها إليه بدون أن تشعر بالخجل وتبادلا عناقاً عاصفاً.

في هذه المرة لم يكن هناك تراجع، ودخلت جوليا إلى عالم لم يكن فيه سوى بيرس.. كان رأسها يطير عن الأرض فرحاً تاركاً المكان حراً لمشاعرها، حتى هزتها زاوية صغيرة من وعيها فسحبت نفسها قليلاً عنه:

- بيرس.. أريد قول شيء..

أمسك وجهها بين يديه، ونظر في عينيها نظرة حب ورغبة صامتة، ثم قال بصوت مرتجف غير ثابت:

- حبيبتي.. سأصغي إليك، وأتحدث إليك طوال عمرنا. أما الآن.. فأريد أن أحبك فقط. وأعتني بك جسداً وروحاً، قلباً وقالباً. أريد بشدة أن أشعري بما أشعر به.

ضاعت جوليا، وعادت إلى عناقه، تتمتم بين حين وآخر فقط ما يريد أن

www.alkottob.com

يسمع.. كان تفكيرها مشلولاً..

أخيراً راحت خفقات قلبيهما وأنفاسهما تتابطأ فضمها إليه ووضع رأسها على صدره.. ثم قال:

- لقد حاولت قول شيء لي لكنني لم أصغ، وكان آخر ما توقعته أن تكوني عذراء. أتشعرين برغبة الآن لإخباري بما رفضت بفظاظة أن أصغي إليه؟

ضمت نفسها إليه أكثر، وبدأت تتحدث بقليل من التردد:

- تزوجت باتريك بسرعة.. وسافرنا إلى دوفر لنلحق بالعبارة التي ستقلنا إلى أوروبا. كانت سيارته قديمة، فانفجرت الإطارات على الطريق وتحطمت بنا السيارة.. ولكن قبل تحطم السيارة كنت قد تسلقت إلى المقعد الخلفي لأفتح سلة الطعام، وهذا ما أنقذ حياتي.. نجوت بأعجوبة وخرجت من السيارة مع بعض الرضوض وبكسر في معصمي.. أما باتريك فقد قتل فوراً.. حدث هذا.. بعد ساعتين من الزفاف.

اشتدت ذراعاه حولها تحميانها:

- كنت يومذاك في الثامنة عشرة ولا شك في أن رجالاً كثراً تمنوا إقامة علاقة معك!

- كان الجميع في الكلية يعتقد أنني متزوجة.. وما أسهل ترك الأمور على ذاك الحال.. ومنذ ذلك الوقت وهنري وليديا يدفعان كل أعزب ليتعرف إليّ لكنني لم أهتم بأحد منهم. حتى نظرت من فوق كتف أبيك فرأيتك تنظر إليّ بكراهية.. وكان الذي كان.

رد ممازحاً:

- وهذا ما ظننته.. أتعلمين ملاكي، أنا أرفض أن يحل محلي أي رجل على وجه الأرض.. لقد قدمت لي هدية زواج لم أكن أتوقعها قط يا جوليا هارتويل.

- يجب أن تعترف أن هذه معلومات يصعب البوح بها في سياق حديث عادي!.. ضع نفسك مكاني.. أوه.. حسناً.. طبعاً لن تستطيع، أيمكنك؟ لكن كيف كان عليّ أن أقول لك ليلة عرسي إنني ما زلت أسيرة

عذريتي؟

- أهنئني يا لي بأس، فهذا ما جعلني أشعر أنني شامخ القامة.. إلى أين أنت ذاهبة؟

- أكسو نفسي، وأفعل شيئاً لإطعامك.

كانت قد وقفت ولكنه شدها ليرجعها إليه.

- فيما بعد، وسيكون هذا بعد وقت طويل.

أسرها من جديد بين ذراعيه.. فقالت بصعوبة: «بيرس».

- ما الأمر حبيبتي؟

- ثمة كثير يقال بشأن تشجيع اليد العاملة الوطنية على أي حال.

رفع نفسه على مرفقه ينظر إليها بذهول:

- يا لوطنيتك! لكن لماذا بالله عليك تثيرين موضوعاً كهذا في مثل هذا الوقت؟ من المفترض أن تكون العروس متعاونة وفائقة من الحب.

- حسناً.. فلأصغ ما أريد قوله بكلمات أخرى حبي.. آه، بيرس أرجوك.. انتظر لحظة، لا أستطيع التفكير وأنت تفعل هذا. أريد فقط أن أقول إننا أحسنا صنعاً بعدم الذهاب إلى الريو لقضاء شهر العسل، فخبرتي الأخيرة علمتني ألا أثق بأمزجتهم. التي ما كانت لتصمد ونحن فيها.

وأغرقا معاً في الضحك ثم تعلق كل منهما بالآخر ومات صخبهما، ونسيا كل شيء وما عادا يشعران أكانا في الريو أم في «كونسولد» أو في القمر.

* * *

www.alkottob.com